PenX

أصداء الخيانة و الأعمدة المتداعية

لحسين غنيم

مقدمة: المدينة التي لا تنام والوزن الثقيل 3

الجزء الأول: أساس الهشاشة – قبل الانهيار 8

الفصل الأول: العالم قبل 8

الفصل الثاني: الجرح الخفي 12

الفصل الثالث: شرارة الاتصال 17

الجزء الثاني: الانهيار الحتمي – عاصفة Forcivate 21

الفصل الرابع: القفص الذهبي 21

الفصل الخامس: معركة روان الخاصة 24

الفصل السادس: حادثة الشعار – الاصطدام 27

الفصل السابع: العواقب المباشرة 34

الجزء الثالث: الثقل والطريق إلى الأمام – الديون غير المسددة 39

الفصل الثامن: الهزات الارتدادية: 39

الفصل التاسع: أنفاس Forcivateي الأخيرة وبداية جديدة 44

الفصل العاشر: لمحة بعيدة 48

الفصل الحادي عشر: ضرورة الشفاء 52

الفصل الثاني عشر: البناء على الأرض المتداعية 59

الجزء الرابع: المرونة والطريق المفتوح 65

الفصل الرابع عشر: العيش مع الأصداء 65

الفصل الخامس عشر: وعد المستقبل 71

مقدمة: المدينة التي لا تنام والوزن الثقيل

نادرًا ما يسود ليل القاهرة صمتٌ حقيقي. حتى في الثالثة فجرًا، بعد أن تلاشى النداء الأخير في الهواء الرطب، يبقى همهمةٌ بعيدةٌ تُسمع – سيمفونيةٌ من حركة مرورٍ خفية، وهمهمة مقاهي الليل، وصوت بوق سيارة أجرةٍ بين الحين والآخر. بالنسبة لي، يا حسين، يقظة المدينة الدائمة رفيقٌ مألوف، مرآةٌ للطاقة المضطربة التي لطالما سرت في عروقي. نادرًا ما أنام قبل شروق الشمس؛ وأحيانًا، لا أنام إطلاقًا، وعقلي محركٌ لا يلين يرفض التوقف. يبلغ سجلي الشخصي خمسة أيامٍ تقريبًا دون أن أغمض عيني، وهي عادةٌ صقلتها في طفولةٍ اتسمت بالغياب لا بالحضور، بفضل إدراكي الهادئ أنني كنتُ، إلى حدٍّ كبير، وحدي.

نشأتُ في مدن الخليج المتلألئة، فتىً يعيش وحيدًا مع أبٍ مدمنٍ على العمل، عاش حياته سعيًا دؤوبًا وراء الطموح، تاركًا مساحاتٍ واسعةً تُردد صدىً في شقتنا بدبي منذ نعومة أظفارنا في الثالثة عشرة. أما أمي، التي كانت تبحث عن عزاءٍ خاص بها، فقد وجدته في القاهرة، مما خلق فجوةً جغرافيةً وعاطفيةً ميّزت نشأتي. كانت فصول الصيف هنا أوهامًا عابرةً، مُحكمةَ البناء، لعائلةٍ في منتجعٍ – أداءٌ كنا جميعًا نُؤديه، بابتساماتٍ مُصطنعةٍ وضحكاتٍ مُجهدة، لكن لم يُصدّق أحدٌ منا ذلك حقًا. كان الدفء دائمًا واجهةً زائفةً، والتواصل وهمًا هشًا. تعلمتُ في وقتٍ مبكرٍ أن أكون مكتفيًا ذاتيًا، وأن أُدير شؤوني بنفسي، وأن أعيش بميزانيةٍ محدودة، بينما كان والدي، بطريقته المُنفصلة، يُلقّنني دروسًا اقتصاديةً مُبكرة. وبحكم الضرورة، تعلمتُ الطبخ لنفسي، وأن أُواجه صعوبات الحياة دون توجيهٍ مُستمر. كان طلاق والديّ الرسمي خلال سنتي الجامعية الأولى بمثابة نقشٍ لعدم استقرارهما، مُرسّخًا رسميًا لحبٍّ لم يكن موجودًا حقًا، واحترامٍ للمشاعر لم أشهده قط. تعلمتُ مبكرًا أن أكون صلبة، صلبة. سنوات دراستي الجامعية في مصر، التي فُرضت عليّ رغم قبولي في الخارج، اتسمت بانتكاسة أكاديمية مُهينة – فقد أجبرني ختمٌ مفقودٌ على أوراقي الدراسية على إعادة سنتي الدراسية الأولى بقسوة، مُجردًا رغبتي في الاختلاط بالآخرين ومُشوّهًا سمعتي. تقلصت حياتي الاجتماعية إلى دائرة ضيقة من الأصدقاء المقربين، كجزيرة صغيرة في بحرٍ شاسعٍ لا مُبالٍ. كان مجالي المُختار، الذكاء الاصطناعي، حكرًا على الذكور تقريبًا، مما زاد من عزلتي عن الفروق العاطفية الدقيقة للتواصل الإنساني، وزادت قبضة الجائحة المُعزولة من هذا العزل، مُدمرةً ما تبقى من حياة اجتماعية، ومُقزمةً أكثر لذكاءٍ عاطفيٍّ مُتخلفٍ أصلًا. ثم جاء عامٌ وثلاثة أشهر من التجنيد الإجباري في الشرطة، عالمٌ صارمٌ كنتُ فيه أصطدم باستمرارٍ مع السلطة، رافضًا الرضوخ لمطالبها التافهة، وغالبًا ما أجد نفسي في كتائب قتاليةٍ للتحدي، مُقويًا عزيمتي ضد أي شكلٍ من أشكال القمع.

لكن تلك القشرة الصلبة بدأت تتشقق بعد خدمتي العسكرية، حين ظهرت فريزة. كنتُ قد خرجتُ للتو، تائهةً في عالم العمل المدني، أُكافح لأجد موطئ قدمي، أُواجه سلسلةً مُحبطةً من رفض الوظائف. كانت قيمتي الذاتية، الهشة أصلاً، في أدنى مستوياتها. دخلت فريزة،

صديقة أعز أصدقائي، لتملأ هذا الفراغ. كان وجودها بمثابة منارةٍ تخترق ضباب عدم اليقين الذي انتابني بعد انتهاء خدمتي. أتذكر الصدمة، والمفاجأة الصادمة، عندما قدّمت لي "تهانينا" بسيطة على الخطوات الصغيرة التي كنتُ اتخذها في مسيرتي المهنية الناشئة. كان ذلك دفئًا لم أعرفه من قبل، وتأكيدًا لم أُدرك أنني أتوق إليه حتى امتلأت عيناي بالدموع، شهادةً صامتةً على سنواتٍ من الجهد غير المُعترف به. لقد دُهشتُ تمامًا أن أحدهم، أخيرًا، رآني حقًا، واحتفل بي بصدق. بدأ كل شيء جميلًا، مثاليًا، بدايةً جديدةً هشة.

كان أول حديث عميق بيننا يدور حول الكتب، حول محو الأمية وقوة المعرفة المشتركة. لطالما رأيت الكتب رسلًا بين العقول، حاملةً حقائقَ مُكبوتة، وجسورًا صامتة بين الأرواح. لذا، عندما اعترفتُ أخيرًا بحبي لفاريزة، اخترتُ رسولًا يليق بتلك اللحظة العميقة: كتابًا. ليس أي كتاب، بل كتابًا عايشتُ فيه أوقاتًا عصيبة خلال خدمتي العسكرية، رفيقًا صامتًا في وحدتي وتحديي. على صفحاته، نقشتُ بعناية أسماءنا، اسمي واسمها، على خرطوش مصري قديم، مكتوبًا باللغة الهيروغليفية المقدسة – شهادةً على رابطٍ كنتُ أعتقد أنه أبدي، مقدس، رابطٌ باركه التاريخ نفسه. لقد عقدنا، منذ البداية، عهدًا غير معلن لترك ماضينا طي الكتمان، صفحةً بيضاء لمستقبلٍ نبنيه معًا، خاليًا من ظلال الماضي.

لكن بعد أن كشفتُ عن قلبي، بعد أن عرضتُ عليها أعمق نقاط ضعفي، بعد أن ظننتُ أننا صنعنا شيئًا لا يُقهر، بدأت فريزة تتغير. برزت شخصية مرحة، ليست ودودة فحسب، بل مُغازلة للآخرين بشكل علني. لم أكن من النوع الذي يسعى للسيطرة أو يغار بسهولة من شخص ودود، لكن هذا كان مختلفًا. كان هذا صارخًا. كان هذا عرضًا علنيًا قوض ملاذي الخاص الذي ظننتُ أننا بنيناه، وتآكل الثقة التي مددتُها بحذر شديد. عذرتها. مرة. مرتين. و مرتين أخريين. قلتُ لنفسي إنها تمضي قدمًا فحسب، وأنها تعاني من أخطائها الماضية، وأن الجميع يرتكبون الأخطاء، متشبثين بشدة بأمل أن تراني في النهاية شخصًا كاملًا، وأن أكون كافيًا لها، وأن يستقر قلبها على الحب الذي أمنحه لها. لم يأتِ ذلك اليوم أبدًا. كانت خيانتها هوة انفتحت تحت قدمي، إذلالًا علنيًا مُخفيًا وراء واجهة نجاحها العلنية. أتذكر اليوم الذي علمتُ فيه الحقيقة – كنتُ أتغيب عن العمل، وللمفارقة، لأُشجعها وهي تتسلم جائزة، يا لها من مفاجأة قاسية من القدر. ثم دُفن الألم، الحاد والمباشر، تحت طبقات من الطموح المهني، في محاولة يائسة للنجاة من الحطام العاطفي. أصبحت شركة Forcivate الأمريكية حصني، أرضًا واعدة ينتظرني فيها منصب إداري، وشريان حياة للأمان المالي في عالم أشعر فيه بالضياع الدائم.

لكن بعد ذلك، عاد الثقل. ليس ألمًا جسديًا يُبقيني مقيدًا بسريري، عاجزًا عن الحركة أو المشي، فاقدًا معنى الحركة. إنه إرهاقٌ عميق، إرهاقٌ وجودي، كما لو أن أعباء الحياة المتراكمة تضغط على عمودي الفقري، مُهددةً بـ...تفتيت ظهري الكوابيس، واضحة لا هوادة فيها، هي تكرار مستمر لخيانة فريزة وفوضى "حادثة الشعار" في Forcivateي، رافضةً أن تخفف من وطأتها. إنها أصداء صدمات الماضي، مُضخّمة بمخاوف الحاضر. هروبي المعتاد – دخان الشيشة الحلو، ولقمة لاتيه إسباني مثلج باردة، وراحة الملاكمة، وهدوء

التجديف، ورفقة الأصدقاء – لا يُقدّم أي راحة. إنها مجرد مُشتتات، لحظات عابرة من الخدر لا تصل إلى الألم العميق المُزعج الذي يتجذّر الآن، متجاوزًا السطح.

إنه الألم المزعج للديون غير المسددة.

قبل أن تصبح Forcivate ساحة معركة، وقبل أن أصبح صلبًا وقويًا من جديد، كانت هناك روان. مثلي، وجدت العزاء في ساعات الفجر الهادئة، روحًا قريبة في المدينة التي لا تنام. أصبحت معالجتي اللاواعية، حضورًا دافئًا في مكالماتنا الليلية المتأخرة بعد أن مزقت فريزة عالمي. لم تعرف أبدًا المدى الكامل لمعاناتي، والصدمة الخام التي لم تُعالج والتي لا تزال تطارد أحلامي، لكنها شعرت بها. شعرت بالتعب والألم الكامن، واستجابت بلطف بديهي لا حدود له تجاوز دفاعاتي. بضحكتها، وأغانيها العفوية، وأسرارها المشتركة، وإعجابها الصريح، جعلتني أشعر بألم أقل. لقد شفتني. لقد أسعدتني. شاركت أحلامها، وبذلك، قدمت لمحة عن مستقبل مختلف، وأمل هش لم أجرؤ على الاستمتاع به.

ثم انفجرت حادثة الشعار. تحت ضغط هائل، مرعوبًا من معاناة مثل تلك التي جعلتني فريزة أعانيها، أصبحت حجرًا. لمت، واتهمت، ودفعت بعيدًا الشخص الوحيد الذي أعاد خياطتي، الشخص نفسه الذي كان مرساتي. تجلى خوفي من الضعف، المولود من خيانات الماضي، في قسوة حطمت الثقة الرقيقة التي وضعتها فيّ. والآن، بينما أبني مشروعي الخاص، PenX، بميزانية ضئيلة، مقامرًا بكل ما تبقى لي – خزانتي، دخل عائلتي الشهري، ومستقبلي نفسه – فإن العبء الأكبر ليس الحبل المالي المشدود، أو العمل الدؤوب، أو الموعد النهائي الوشيك الذي يمتد لعشرة أشهر. إنه الألم الصامت لما كسرته، والندم العميق على الدين الذي تركته غير مسدد.

الجزء الأول: أساس الهشاشة – قبل الانهيار

الفصل الأول: العالم قبل

نادرًا ما يُقدّم ليل القاهرة صمتًا حقيقيًا، همهمةً مستمرةً تعكس الطاقة المُضطربة التي حملتها منذ طفولتي. وُلدتُ في عالمٍ من الرمال المتحركة والوالدين البعيدين، فتىً يعيش بين مدن الخليج العربي المتلألئة العابرة وقلب القاهرة العريق الخالد. كان والدي، المُدمن على العمل، شبحًا من الوجود، حياته مُستهلكة بالطموح، تاركًا لي أبحر في رحاب شقتنا في دبي وحدي منذ سن الثالثة عشرة. غالبًا ما كان صمت تلك الغرف المترامية الأطراف أثقل من أي ضجيج، مُعلّمًا إياي نوعًا غريبًا من الاعتماد على الذات. أما والدتي، التي تبحث عن سلواها الخاص، فقد وجدته في القاهرة، مُنشئةً هوةً جغرافية وعاطفيةً ميّزت نشأتي. قضيتُ الفصول الدراسية في عالم والدي الهادئ والمنضبط، حيث كانت الإنجازات تُقاس بالدرجات والكفاءة. كانت فصول الصيف فتراتٍ قصيرةً مُرتّبةً في مصر، حيث كنا نجتمع في منتجع، ونُمثّل أدوار عائلة. ضحكنا، وأكلنا، ووقفنا لالتقاط الصور، كل لحظة مُختارة بعناية، لكن الدفء كان دائمًا أداءً، والتواصل وهمًا هشًا. تعلمتُ مبكرًا أن أكون مكتفيًا ذاتيًا، شخصًا منعزلًا يبني جدرانًا حول قلب نادرًا ما شعر بأنه مرئي أو محبوب حقًا. غرس والدي، بطريقته الخاصة، دروسًا مبكرة في الاقتصاد، ليس من خلال المحاضرات، بل من باب الضرورة، مجبرًا إياي على العيش بميزانية محدودة، وبالتالي، تعلم الطبخ لنفسي. لم تكن هذه أفعال رعاية، بل دروسًا في البقاء، شكلت مرونة عملية. كان طلاق والديّ الرسمي خلال سنتي الجامعية الأولى مجرد نقش على الورق لانفصال كان موجودًا منذ زمن، معززًا غياب الحب أو الاحترام لمشاعر لم أشهدها قط.

هذه التربية، الخالية من العاطفة الصريحة، والغنية بنوعٍ خاص من الاستقلالية، غرست فيّ عزيمةً على الصلابة والصلابة. كما أشعلت، على نحوٍ متناقض، شوقًا شديدًا إلى العدالة والأصالة. وبينما كنتُ أشقّ طريقي في أروقة الجامعة غير الشخصية، مكانٌ لم أختره، حيث أجبرني ختمٌ مفقودٌ على أوراقي الدراسية بقسوة على إعادة سنتي الدراسية الأولى، ذبلت رغبتي في الاختلاط الاجتماعي وتحولت إلى ترددٍ عميق. شعرتُ بإذلال التراجع، وفقدان ذلك الزخم الأولي، كأنه تجريدٌ علني من كرامتي. شعرتُ بفقدان سمعتي، ومعها جزءٌ حيويٌّ من روحي، فقدانًا لا رجعة فيه. تقلصت دائرتي الاجتماعية إلى بضعة أصدقاء مقربين ثمينين، جزيرة صغيرة من التواصل الحقيقي وسط بحرٍ شاسعٍ من زملاء الدراسة غير المبالين. كان مجالي المختار، الذكاء الاصطناعي، عالم المنطق والبرمجة، حكرًا على الذكور تقريبًا، مما زاد من عزلتي عن الفروق العاطفية الدقيقة للتواصل الإنساني، معززًا التحليل على التعاطف. لقد فاقم الزحف الخبيث لجائحة فيروس

كورونا هذه العزلة، مُدمرًا ما تبقى من حياة اجتماعية، ومُضيًّا قدمًا في إضعاف ذكائي العاطفي الذي لم يُنمّه تربيتي أصلًا. أصبحت المحادثات تفاعلية، وشعرتُ أن التعاطف لغة منسية، وبدا العالم وكأنه يتراجع خلف الشاشات.

ومع ذلك، في خضم هذا الصراع الشخصي، بدأ نارٌ مختلفةٌ تشتعل في داخلي. كانت تُغذّيها أصداءٌ غريزيةٌ لثورةٍ شاركتُ فيها مباشرةً في طفولتي: الانتفاضة المصرية عام ٢٠١١. وجدتُ نفسي منجذبًا إلى الفوضى، فتىً في الحادية عشرة أو الثانية عشرة من عمره، جسمي النحيل يختبئ خلف شجرةٍ واهنة، يداي خشنتان من جرّ الحجارة على رجال الشرطة الذين ردّوا بوابلٍ مرعبٍ من بنادق الصيد. كان الهواءُ مُثقلًا بالصراخ والخوف، وإحساسٍ غريبٍ مُسكِرٍ بالتحدي الجماعي. في لحظةٍ مُرعبةٍ واحدة، أُصيبت شابةٌ في أوائل العشرينيات من عمرها، بوجهٍ مُشوّشٍ من العزيمة، برصاصةٍ بجانبي مباشرةً. انطبع صوتُ الانفجار، ومشهدُ سقوطها، في ذاكرتي. عندما رأيتُ مطلق النار يُعيد تعبئة سلاحه، في حركةٍ هادئةٍ مُرعبة، اخترتُ الركضَ إلى الخطوط الخلفية، ليس خوفًا على نفسي، بل بحثًا عن مساعدةٍ لها بيأس. اخترقت صيحاتي المسعورة الضجيج، ونُقلت إلى بر الأمان بأيدٍ خفية. في حادثة أخرى، صدمتني شاحنة شرطة، وحشٌ مظلمٌ مُهيب، كان يحاول تفريق الاحتجاج، لكن بأعجوبة، لم أُصب بأذى سوى صدمةٍ مُدويةٍ تركتني بلا أنفاسٍ ولكنني لم أُكسر. هذه الذكريات الطفولية العميقة، الخام وغير المُزيّفة، إلى جانب كل روايةٍ وتحليلٍ وشهادةٍ خامٍ التهمتها لاحقًا، أشعلت فهمًا عميقًا للناس الذين ينتفضون ضد الظلم، مُطالبين بالكرامة والحرية. في صوتهم الجماعي، وجدتُ صدىً لمعاركي الهادئة ضد قوى خفية، ضد فقدان السيطرة على حياتي، ضد التفاوت العاطفي الذي شهدته. لم يكن هذا مجرد تاريخ؛ بل كان نموذجًا للتحدي. غرس فيّ إرادةً لا تلين لمحاربة الظلم والتفاوت، وقناعةً راسخةً بالدفاع عن حرية الإنسان.

هذا اليقين، الهادئ لكن القوي، هو ما ميّز تجنيدي في سلك الشرطة. لمدة عام وثلاثة أشهر، وجدت نفسي مُقحمًا في عالم من التسلسل الهرمي الصارم والطاعة المطلقة، في تناقض صارخ مع المُثُل التي اكتسبتها من الثورة. بدا الهواء نفسه وكأنه يطالب بالخضوع. كنتُ أصطدم باستمرار بالسلطة، رافضًا الرضوخ لمطالبها التافهة، أو إحضار الشاي أو القهوة لمجرد أن أُمرت بذلك. لم يكن الأمر متعلقًا بالشاي؛ بل بالمبدأ، رفض الانتقاص من شأني، والتنازل عن استقلاليتي. غالبًا ما كان تحديّ، الذي غالبًا ما كان يُعبّر عنه بصمت عنيد أو رفض مباشر، يُودي بي في كثير من الأحيان إلى الكتيبة القتالية، وهي مكان مُصمم لكسر الروح المعنوية وغرس الامتثال المطلق. لكن بالنسبة لي، لم يُعزز ذلك إلا عزيمتي، وشحذ حواف إرادتي الصلبة أصلًا. لن أُسيطر عليّ؛ لن أُسكت. سأُناضل من أجل حريتي، وبالتالي، من أجل الحق الأصيل لكل فرد في حريته. لقد كان هذا هو الرجل الذي أصبحت عليه: مكتفيًا ذاتيًا، لا يلين، ودون أن أعلم، على شفا معركة من نوع جديد، معركة من شأنها أن تختبر أسس قوقعتي الصلبة بطرق لم أتمكن من تخيلها بعد.

الفصل الثاني: الجرح الخفي

بدأت قوقعتي الصلبة، التي شُكِّلت في طفولةٍ غابت وشبابٍ تحدّى، تتصدّع حتى قبل أن أُدرك ذلك تمامًا. حدث ذلك بعد خدمتي العسكرية، وهي فترةٌ من الانضباط الصارم الذي عزّز عزيمتي. بعد خروجي مباشرةً، كنتُ تائهًا في الحياة المدنية، أُكافح لأجد موطئ قدمي، أُواجه سلسلةً مُحبطةً من رفض الوظائف التي قوّضت ثقتي بنفسي الهشة أصلًا. بدا المستقبل غامضًا، كبحرٍ شاسعٍ لا يُسبر غوره. ثم، نصرٌ صغير، بصيص أمل: فترة تدريب. ومعه، صوتٌ بالكاد أعرفه، يُقدّم لي "تهانينا" البسيطة. كان ذلك الصوت صوت فريزة.

التقيتُ بفريزة لأول مرة في سنتي الجامعية الأخيرة. كانت جميلةً بلا شك، حضورٌ آسرٌ في أي مكان، تشعّ سحرًا عفويًا، لكن تفاعلاتنا آنذاك كانت سطحية، مجرد أحاديثٍ مهذبة ضمن مجموعة. لم يكن هناك أي تواصل حقيقي، ولا شرارةٌ تدوم بعد اللحظة. لم ألحظها إلا في حفلةٍ بعد خدمتي العسكرية، وهي تجربةٌ نادرةٌ في التجمعات الاجتماعية، حيث ذهبتُ مع عبد الرحمن، صديقنا المشترك، حين أشعلت تركيزي حقًا. تحركت برشاقةٍ آسرة، وضحكتها لحنٌ يخترق ضوضاء الخلفية. ومع ذلك، حتى في تلك اللحظة، ظلّ التركيزُ مُنصبًّا على انتباهٍ هادئٍ يكاد يكون ثابتًا، وملاحظةٍ حذرة، حتى وصلتني تلك الرسالة الوحيدة: تهنئتها القلبية على أول تدريبٍ لي. كان دفئًا لم أعرفه من قبل، وتأكيدًا لم أُدرك أنني أتوق إليه حتى امتلأت عيناي بالدموع، وشهادةً صامتةً على سنواتٍ من الجهد والكفاح غير المُعترف بهما. لقد دهشتُ تمامًا عندما رآني أحدهم أخيرًا، واحتفل بي بصدق. في تلك اللحظة، بدا كل شيء جميلًا ومثاليًا، كبداية جديدة هشة تتكشف أمامي.

توطدت علاقتنا سريعًا، مبنيةً على فضول فكري مشترك بدا ككشفٍ مُذهل. دارت أول محادثة عميقة بيننا حول الكتب، حول قوة المعرفة المشتركة، مواضيعٌ تناغمت بعمق مع مساعيي الانفرادية. لطالما رأيت الكتب رسلًا بين العقول، حاملةً حقائقَ مُكبوتة، جسورًا صامتة بين الأرواح، ومع فريزة، شعرتُ وكأن تلك الجسور تُبنى أخيرًا. لذا، عندما اعترفتُ أخيرًا بحبي لها، اخترتُ رسولًا يليق بتلك اللحظة العميقة: كتابًا. ليس أي كتاب، بل كتابًا عايشتُ معه أوقاتًا عصيبة خلال خدمتي العسكرية، رفيقًا صامتًا في ليالٍ لا تُحصى من الوحدة. في صفحاته، نقشتُ بعناية أسماءنا، اسمي واسمها، على خرطوش مصري قديم، مكتوبًا باللغة الهيروغليفية المقدسة – شهادةً على صلةٍ اعتقدتُ أنها أبدية، مقدسة، رابطةٌ باركها التاريخ نفسه. كنا قد عقدنا، منذ البداية، عهدًا ضمنيًا بترك ماضينا طي الكتمان، صفحة بيضاء لمستقبل نبنيه معًا، خاليًا من ظلال الماضي وتعقيداته. تجاهلتُ أي قلق خفي، أو أي شعور عابر بشيء لم يُذكر، واعتبرته مجرد مخاوف متبقية من طفولة خالية من الشفافية العاطفية.

لكن بعد أن كشفتُ عن قلبي، بعد أن عرضتُ عليها أعمق نقاط ضعفي، بعد أن ظننتُ أننا صنعنا شيئًا لا يُقهر، بدأت فريزة تتغير. برزت شخصية مرحة، ليست ودودة فحسب، بل مُغازلة للآخرين بشكل علني. بدأ الأمر بلمسة خفية، لمسة طويلة، نظرة مطولة، ثم تصاعد إلى

مظاهر علنية. لم أكن من النوع الذي يسعى للسيطرة أو يغار بسهولة من شخص ودود، لكن هذا كان مختلفًا. كان هذا صارخًا. كان هذا عرضًا علنيًا قوض ملاذي الخاص الذي ظننتُ أننا بنيناه، وتآكل الثقة التي مددتُها بحذر شديد. عذرتها. مرة. مرتين. ومرات أخرى. قلتُ لنفسي إنها تمضي قدمًا، إنها تعاني من أخطائها الماضية، وأن الجميع يرتكبون الأخطاء، متمسك بشدة بأمل أن تراني في النهاية كشخص كامل، وأن أكون كافيًا لها، وأن يستقر قلبها على الحب الذي أمنحه لها. لم يأتِ ذلك اليوم أبدًا.

انفتحت الهوة تحت قدميّ يوم علمتُ الحقيقة. كنتُ في فعالية، عرض مصغر لجامعة الدول العربية، حيث كانت فريزة تعمل كإعلامية – يا لها من صدفة قاسية، إذ كنتُ أغيب عن العمل، لأُظهر دعمي لها، لأكون حاضرًا لحظة انتصارها. كان معي حاسوبي المحمول، أعمل عن بُعد من غرفة قريبة، أستقبل المكالمات وأحاول التركيز، ذهني منقسم بين مهامي وترقب لحظتها المشرقة. دخلت فريزة، بطبعها المرح كعادتها، محاولةً إضحاكي، لحظة عابرة من الحياة الطبيعية، لكنها تلقت مكالمة وخرجت، خروجٌ عابرٌ سيُحفر في ذاكرتي قريبًا. بعد اجتماعي، انتابني ذعرٌ مفاجئ: كنتُ مرعوبًا من فوات لحظة تكريمها. هرعت إلى القاعة الرئيسية، لكنها لم تكن هناك. ازداد بحثي جنونًا، وبدأ خوفٌ باردٌ يتسلل إلى معدتي، يقودني إلى ممرات هادئة حتى رأيتُ بصيصًا من النور من تحت بابٍ مغلق. ارتجفت يدي عندما دفعتها مفتوحة.

وها هي ذا، مع شاب. قاما بحركة مفاجئة، تكاد تكون عنيفة، كما لو أنني قطعتُ شيئًا ما، بعد أن ضبطتُ متلبسًا. تمتم الصبي بعذر واندفع إلى الحمام، تاركًا صمتًا محرجًا مشحونًا. التقت عينيّ فريزة، بهدوءٍ مفاجئ، وقالت إنه مجرد صديق قديم من المدرسة. حاولتُ التأقلم، وابتلاع موجة الشك المتصاعدة، وإجبار نفسي على تصديقها، والتشبث بالأمل الهش بأن كل هذا مجرد سوء فهم. استلمت جائزتها، وصفقتُ، يداي تشعران بالخدر، والتصفيق أجوف في أذنيّ. عرضتُ عليها أن آخذها إلى العشاء وأسير بها إلى المنزل، يائسًا من استعادة بعضٍ من طبيعتها، لاستعادة السيطرة على القصة، لكنها رفضت، مدّعيةً أن شقيقها سيأخذها قريبًا. ترسخت الشكوك إلى يقينٍ باردٍ لا يمكن إنكاره. انطلق عقلي، يجمع أجزاءً متفرقة، متذكرًا نظراتٍ عابرة، وأحاديثٍ مكتومة. تحدثت إلى عدد قليل من الأشخاص في الحدث، محاولاً جمع المعلومات، ثم اتصلت بصديق لتمضية الوقت، وكان قلبي ينبض بالخوف والرعب.

ثم بدأتُ بحثي، مدفوعًا برغبةٍ مُلحةٍ في تأكيدٍ ما، مهما كانت مؤلمة. وجدتُهما يسيران معًا نحو زقاقٍ مُظلم، وظلالُهما تُحيطُ بأعمدةِ أضواءِ الشارعِ الخافتة، ثم يعودانِ إلى أرضِ الجامعةِ حيثُ أُقيمَ الحدث، متجهينَ في النهايةِ إلى المركزِ التجاريِّ المجاور. تبعتُهما، وقلبي ينبضُ بإيقاعٍ من الرعب، وكلُّ خطوةٍ تُشبهُ هبوطًا إلى هاويةٍ أعمق. وهناك، وسطَ صخبِ المركزِ التجاريِّ العفويِّ، على مرأىً من الجميع، رأيتُهما: يُقبِّلانِ ويعانقانِ. بدا وكأنَّ العالمَ يدورُ حولَ محورِه. عندما رأتني، وعيناها مُتسعتانِ من الصدمة، اعتذرَ الرجلُ بسرعةٍ، وتوجهَ إلى مطعمٍ ليطلبَ لهما الكريب، في محاولةٍ بائسةٍ للعودةِ إلى الحياةِ الطبيعية. وقفتُ أنا و فريزة هناك، والعالمُ من حولنا يذوبُ في ضبابيةٍ من الضوضاءِ والوجوهِ اللامبالية، وكان لدينا الكلمات ضبابية، الاتهامات والإنكارات، وانهيار كل ما بنيته.

غضبٌ باردٌ نقيٌّ، اجتاحني، كجحيمٍ يُهدد بأكلي. تمالكتُ نفسي، بطريقةٍ ما، كي لا أُثير ضجةً في ذلك المكان العام، كي أجدَ ما يشبهُ خاتمةً وسطَ حطامِ قلبي. كانت رحلةُ عودتي إلى المنزل على دراجتي البخارية "وولف" مزيجًا من السرعةِ والغضب، محاولةً يائسةً للهربِ من الألم. دفعتُه، دفعتُ نفسي، أسرعَ فأسرع، رقصةً طائشةً مع النسيان، حتى وقعَ المحتوم. حادثٌ ما. تأثرت ركبتي ومرفقي بشدة، لكن كان من الممكن أن يكونَ مميتًا. خوذتي، قطعةُ الأمانِ المنسية، أنقذتني. اختفيتُ لعشرةِ أيام. لم أتصل بأحد، ولم أرد على مكالمات الأصدقاء، منسحبًا إلى منفىً اختياري. كنتُ أذهبُ إلى العملِ كشبحٍ، كقوقعةٍ جوفاء، إنتاجيتي تتراجعُ إلى ٢٥٪ فقط، عقلي مُستهلكٌ بتكرارِ خيانتها. ثم دُفنَ الألمُ، الحادُّ والمباشرُ، تحت طبقاتٍ من الطموحِ المهني. أصبحت شركة Forcivate الأمريكية حصني، أرضًا واعدة ينتظرني فيها منصب إداري، وشريان أمان مالي في عالمٍ كنت أشعر فيه بالضياع الدائم. لكن الجرح، الخفي، كان يتقيح تحت السطح، سمًا صامتًا يُفسد كل شيء ببطء.

الفصل الثالث: شرارة الاتصال

لقد تصدع العالم. بعد فريزة، بعد الحادث، بعد الأيام التي قضيتها في فراغ فرضته على نفسي، أصبحتُ شبحًا في العمل، ظلًا لذاتي السابقة. كان الألم، الحاد والمباشر، مدفونًا تحت طبقات من الطموح المهني، لكنه تفاقم، ألمًا مستمرًا تحت السطح. قشرتي الصلبة، التي تصدعها الحب، انغلقت على نفسها، أكثر سمكًا وأكثر ثباتًا من ذي قبل. كنتُ صلبًا. كنتُ صلبًا. كنتُ صلبًا. كنتُ مرعوبًا من المعاناة كما جعلتني فريزة أعاني مجددًا، مقتنعًا بأن أي ضعف لن يؤدي إلا إلى ضربة مدمرة أخرى.

في هذا المشهد القاحل، ظهرت روان، ضوءًا هادئًا غير متوقع. لم تكن لفتة عظيمة، ولا دفقة شمس مفاجئة، بل كانت حضورًا ثابتًا مُريحًا بدأ يُداوي الجروح الخفية بطرق لم أكن أدركها حتى. مثلي، وجدت العزاء في ساعات الفجر الهادئة، روحًا مُقرّبة في مدينة لا تنام. هذا الإيقاع المُشترك، هذا الفهم للعالم عندما ينام معظم الآخرين، شكّل رابطًا غير مُعلن بيننا، اعترافًا صامتًا بوحدة مُشتركة شعرتُ فيها بطريقة ما بوحدة أقل.

توطدت علاقتنا عبر مكالمات ليلية، محادثات امتدت لساعات، مُذيبةً الحدود الصارمة التي بنيتها حول نفسي. أصبحت روان معالجتي اللاواعية. لم تدرك قط حجم الألم الذي تحملته جراء خيانة فريزة، والصدمة المؤلمة التي لم تُعالج والتي لا تزال تُطارد كوابيسي، والخوف العميق من أن أُرى ثم أُهجر. لم أخبرها صراحةً عن عمق معاناتي، متشبثةً بحذري، لكنها شعرت به. شعرت بالتعب، والألم الكامن، وردّت بلطفٍ بديهي لا حدود له تجاوز دفاعاتي.

كان شفاءها رقيقًا، منسجمًا مع حواراتنا اليومية، يكاد يكون غير محسوس في فاعليته اللطيفة. أسلوبها في الحديث معي، وصوتها الممزوج بفضول حقيقي حول عملي وحياتي، جعلني أشعر بأنني مرئي بطريقة شعرت بالأرتياح فيها. لم يكن الأمر مجرد استفسار مهذب؛ بل كان اهتمامًا صادقًا خفف من عزلتي. عندما كنت أعرض عليها المساعدة في مشروع ما، كانت تصفني بـ"genius"، وهي مجاملة بسيطة لها صدى عميق، في تناقض صارخ مع النقد المستمر وقلة التقدير التي واجهتها في أماكن أخرى. حضورها الدائم، وأسئلتها المتكررة "كيف حالك؟" و"ماذا أكلت اليوم؟" – أسئلة صغيرة تكشف الكثير عن رعايتها – رسّختني في الحاضر، وذكّرتني بالتواصل الإنساني البسيط. ارتبطنا بذوقنا المشترك في الطعام، متعة بسيطة عميقة في طبيعتها، سند صغير في عالم غالبًا ما بدا فوضويًا. كانت ترسل لي مقاطع فيديو على تيك توك، مقاطع خفيفة تخترق عتمة الليل، تُضحكني رغمًا عني، وتشاركني تفاصيل حميمة عن حياتها الشخصية، مُضفيةً عليّ ثقةً مُريحةً وعزيزةً في آنٍ واحد. أصبح وجودها الدائم والثابت طمأنينةً هادئة، ونبضًا ثابتًا في حياتي المضطربة.

كانت مكالماتنا الليلية المتأخرة، التي غالبًا ما امتدت حتى شروق الشمس، ملاذًا، ومساحةً مقدسةً محفورةً في ظلمة الليل الزاحفة. نادرًا ما كنا نغوص في ماضينا، وبالتأكيد ليس في جروح خيانة فريزة الغائرة التي أبقيتها حبيسة. بدلًا من ذلك، كنا نتحدث عن العمل، نحلل الاستراتيجيات ونتشارك الإحباطات، ونجد أرضيةً مشتركةً في عبث عالم الشركات. كنا نتحدث عن أسلوب الحياة، وفهمنا المشترك لإيقاع القاهرة الفريد، ونثرنا في أحاديثنا نكاتًا بدا لنا أننا وحدنا من يفهمها، لغةً سريةً للفكاهة المشتركة. كان الشعور راحةً عميقة، ونشوةً هادئةً غالبًا ما جعلتني أشعر بخفةٍ وأملٍ أكبر مما شعرتُ به منذ شهور. كانت مساحةً حيث أستطيع ببساطة...أكون أنا، بدون أي تظاهر أو ضغط، وهو شعور لم أكن أدرك أنني أفتقده بشدة حتى عرضته عليّ.

شاركت أحلامها، راسمة صورًا حية بدأت، ببطء، وبلا وعي، تُلوّن نظرتي الكئيبة. كان حلمها زيارة إيطاليا، ذلك المكان الذي تحدثت عنه بشوق يكاد يكون ملموسًا، و وصفها مليء بوعد الشوارع القديمة والساحات المشمسة. كان حبها للتيراميسو تفصيلًا متكررًا وممتعًا، رمزًا للفرح البسيط، ولكن العميق، الذي تخيلته. كانت تمتلك شخصية فريدة، مزيجًا خاصًا من الضعف والقوة لم تطلقه إلا للأشخاص الذين شعرت معهم بالأمان حقًا، وكان إدراك أنني كنت واحدًا منهم شرفًا عميقًا وهادئًا، وشهادة على الثقة التي وضعتها فيّ. أحيانًا، في خضم أحاديثنا، كانت تغني. ليست أغانٍ كاملة، بل مقاطع محددة، بصوتها الناعم، الشجي، والآسر تمامًا. لقد أعجبتني طريقة غنائها، وخاصة أبيات أغنية "أنا مذهل مدهش مبهر" لبنك مصر وتامر عاشور – كل كلمة من شفتيها كانت بمثابة تأكيد شخصي، همسة لطيفة من الإمكانية، تهويدة لروحي المضطربة.

في حضور روان، بدا لي أن الثقل الثقيل الذي كان يثقل كاهلي قد زال للحظة. قدّمت لي لمحةً عن مستقبلٍ يُمكن فيه إعادة بناء الثقة، حيث لا يُؤدي الضعف إلى الدمار. كان هناك تيارٌ هادئٌ لا يُنكر لشيءٍ يتجاوز الصداقة ينمو بيننا، إمكانيةٌ لعلاقةٍ رومانسيةٍ رقيقةٍ ومُستحقةٍ ومختلفةٍ تمامًا عن الشغف المُتفجر الذي سبقها. كان رابطًا مبنيًا على التفاهم المُشترك والشفاء الهادئ، مُتناقضًا بشكلٍ صارخٍ مع الصعود المُثير والهبوط المُدمر في ماضيّ. ومع ذلك، حتى وهي تُعيد نسج خيوطي، حتى عندما بدأ دفئها يُذيب الجليد حول قلبي، ظلّ الخوف قائمًا. ذكرى فريزة، رعب معاناةٍ أخرى، أبقت جزءًا مني مُتحفظًا، صوتًا مُلحًا مُلحًا مُحذرًا. كنتُ دائمًا على حذر، أحاول أن أكون حذرًا، مُرددًا لنفسي تعويذةً صامتةً:keep it professional. قاومتُ رغبة السقوط، والاستسلام التام للراحة التي تُقدمها، وترك جدراني تتداعى تمامًا. كان كوني "الحجر" في لحظات الضعف تلك معها صراعًا داخليًا مستمرًا، مفارقة مؤلمة بين الرغبة في القرب والخوف من تداعياته المدمرة في الوقت نفسه. كنتُ صلبًا. كنتُ صلبًا. وللأسف، سيُختبر هذا الخوف نفسه، هذه الحاجة العميقة للحفاظ على الذات، قريبًا بطرق لم نكن لنتوقعها، مُهددًا بتفكيك السلام الهش الذي ساعدتني في بنائه.

الجزء الثاني: الانهيار الحتمي – عاصفة Forcivate

الفصل الرابع: القفص الذهبي

كان العالم خارج مكالماتي الليلية المتأخرة مع روان مختلفًا تمامًا. كان عالم Forcivate، الشركة الأمريكية التي شعرتُ لبعض الوقت وكأنها حصني الخاص، ومنارة أمل في أعقاب فوضى خيانة فريزة. بعد الحطام العاطفي والندوب الجسدية لحادث الدراجة النارية، لم تكن Forcivate مجرد وظيفة، بل شريان حياة، طريقًا ملموسًا لاستعادة السيطرة وبناء مستقبل. كان الإغراء لا يُنكر: شركة تقنية ناشئة، مقرها الرئيسي عبر المحيط، تقدم راتبًا، عند تحويله إلى الجنيه المصري، ليس مجزيًا فحسب، بل مُغيرًا للمسار. كان هذا النوع من الدخل قادرًا على إعادة كتابة مصيري المالي، في تناقض صارخ مع ميزانيات شبابي المحدودة وسوق العمل غير المستقر الذي خضته بعد الخدمة العسكرية. كانت فرصةً للتحرر أخيرًا من دوامة عدم الاستقرار التي ابتليت بها نشأتي، لبناء أساس متين لا يتزعزع. كانت فكرة العمل في شركة أمريكية، بما تنطوي عليه من معايير احترافية وابتكار وفرص لا حدود لها، عامل جذب قوي، ورمزًا للارتقاء الوظيفي الذي كنت أتوق إليه بشدة. لم يكن الأمر يتعلق بالمال فحسب، مع أنه كان عاملًا أساسيًا؛ بل كان يتعلق بالمكانة الاجتماعية، والاستقرار المنشود، وفرصة الانتماء أخيرًا إلى شركة ذات أهمية عالمية، في تناقض صارخ مع محدودية سوق العمل المحلية، والتي غالبًا ما تكون محبطة.

لم أكن مجرد موظف؛ بل كنت "شخصية واعدة"، لقبٌ يُهمس به الناس بصوتٍ خافت خلال اجتماعات الفريق واللقاءات الفردية، اعترافٌ كنت أتوق إليه بشدة بعد سنواتٍ من الشعور بالتجاهل وعدم التقدير. لم يكن هذا مجرد لقبٍ مُجامل؛ بل كان عبئًا ثقيلًا، يُذكرني دائمًا بالتوقعات العالية المُعلقة عليّ، سواءً من قِبل الشركة أو من قِبل غروري المُجروح. شعرتُ بثقله في كل اجتماع، وكل مهمة، وكل ليلةٍ أقضيها في تحسين الاستراتيجيات، مُدركًا أن أدائي كان تحت تدقيقٍ مُستمر. كانت فرصةً لإثبات ذاتي، ليس فقط للشركة، بل للشكوك المُستمرة التي راودتني منذ خيانة فريزة – شكوكٌ حول قيمتي، وحُكمي، وقدرتي على تأمين مستقبلٍ مستقر، وأن أكون "كافيًا" لأي شخص، لأي شيء. بدأ الطريق أمامي واضحًا، مُمهدًا بالطموح والفرص: منصبٌ إداريٌّ مُنتظر، مُتوقفٌ على النجاح في إنجاز المشاريع التي تقع ضمن نطاق مسؤوليتي حاليًا. لم تكن هذه مجرد ترقية افتراضية، بل كانت وعدًا ملموسًا، نورًا في نهاية نفق طويل مظلم. كنتُ مديرًا أول، بعد أن عُهد إليّ بالإشراف المباشر على متدربين متحمسين ينظران إليّ، تعكس وجوههما النضرة الطموح الذي ما زلتُ أحمله، رغم الاضطرابات الداخلية. رأيتُ نفسي فيهما، نسخةً أصغر سنًا وأقل ندوبًا، حريصةً على ترك بصمتها، وشعرتُ بمسؤوليةٍ جسيمةٍ لتوجيههما، في تناقضٍ صارخٍ مع سلطاتي السابقة البعيدة، عديمة الشعور في كثيرٍ من الأحيان. كانت المشاريع نفسها معقدة،

تتطلب ابتكارًا وتنفيذًا دقيقًا، كلٌّ منها يُمثّل خطوةً نحو تلك الترقية المنشودة، ومقياسًا ملموسًا لصعودي. كان تفانيي مطلقًا؛ صببتُ كل ذرةٍ من طاقتي الدؤوبة في عملي، مدفوعًا برغبتين مزدوجتين: التفوق المهني والتحرر الشخصي، آملًا في تجاوز شياطين ماضي. كان مكانًا أستطيع فيه دفن الألم، وتوجيه تركيزي، وبناء شيءٍ ملموس، شيءٍ آمن، شيءٍ يُشعرني أخيرًا بالاكتمال.

لكن حتى القفص الذهبي، مهما كان جذابًا، يبقى قفصًا. بدأ الوعد الأولي لشركة Forcivate يتلاشى عند أطرافه، كاشفًا عن الضغوط الكامنة والتوتر الخفي، وإن كان متغلغلًا، الذي يتخلل كل تفاعل، وكل بريد إلكتروني، وكل رسالة على سلاك. كان الرئيس التنفيذي، محمد، شخصية متطلبة، غالبًا ما كانت توقعاته عالية بشكل لا يُصدق، وصبره ضعيف بشكل ملحوظ، رجل بدا أنه يزدهر في جو من القلق المستمر منخفض المستوى. كان يعمل بكثافة تكاد تكون متقلبة، ومزاجه متقلب كرياح الصحراء، وكان كل مشروع، وكل موعد نهائي، يشعر بثقل غير معلن، واختبار دائم للولاء والكفاءة. كانت ملاحظاته، عندما جاءت، غالبًا ما تكون صريحة، تُقدم دون تليين، ولا تترك مجالًا كبيرًا للخطأ أو التفسير، وغالبًا ما تبدو وكأنها لائحة اتهام أكثر من كونها إرشادًا. كان الخوف من خيبة أمله، أو التقصير في معاييره الدقيقة، رفيقًا دائمًا، ظلًا يلوح في الأفق فوق مهامي اليومية، عقدة باردة في معدتي. لم يكن الأمر يتعلق فقط بتحقيق الأهداف؛ كان الأمر يتعلق بتأمين تلك الترقية، وترسيخ مستقبلي المالي، والهروب من شبح إخفاقات الماضي الذي طارد عقلي الباطن. كنت أبني مسيرتي المهنية، نعم، لكنني كنت أيضًا أبني هوية جديدة بيأس، هوية آمل ألا تنهار تحت وطأة خيانة غير متوقعة، هوية قادرة على تحمل الصدمات التي كادت أن تحطمني من قبل. كان الجو في Forcivate، على الرغم من وعده الذهبي، مثقلًا بضغط غير معلن، تيار خفي من القلق سينفجر قريبًا كعاصفة، يهدد بتحطيم ليس فقط طموحاتي المهنية، بل أيضًا السلام الهش الذي تمكنت من بنائه. أصبحت الشقوق في الواجهة الذهبية واضحة لا يمكن إنكارها، مما يشير إلى التكلفة الحقيقية لهذا المسعى الطموح.

الفصل الخامس: معركة روان الخاصة

بينما كنتُ أخوض غمار Forcivate الغادر، متشبثًا بوعد الترقية، وأُصارع أصداء ماضيّ، لم أكن أُدرك إلى حدٍّ كبير العاصفة المُحدقة في عالم روان. لم تكن مجرد صوتٍ مُطمئنٍّ في مكالماتٍ ليليةٍ مُتأخرة؛ بل كانت زميلةً مُنغمسةً في نفس البيئة المُتطلبة، تُحارب معاركها الصامتة. تجربتها، وإن اختلفت في تفاصيلها، إلا أنها عكست تجربتي في شدتها وفي الطريقة المُريبة التي تُضعف بها روح المرء، مُتآكلةً ببطءٍ شغفها وشعورها بذاتها.

كثيراً ما كانت روان تُخبرني، وأحياناً تُخبر دنيا، عن وطأة عبء عملها المُرهق. لم يكن الأمر يقتصر على حجم المهام الهائل – من تصميم حملات على مواقع التواصل الاجتماعي والتفاعل مع المجتمعات الإلكترونية إلى تحليل المقاييس وإعداد التقارير – بل كان أيضاً بسبب الوتيرة المُلحة وغير المعقولة لإنجازها. كانت تُواصل الجري، مُلاحقةً مواعيد نهائية تبدو وكأنها تتغير وتتضاعف مع مرور كل يوم، في حالة قلق مُستمرة لم تشعر فيها قط بأنها مُلِحّة، ودائماً ما تكون مُتأخرة بخطوة واحدة فقط عن الطلب المُلِحّ التالي. امتدت المطالب إلى ما هو أبعد بكثير من المُعتاد.من الساعة 2 ظهرًا إلى الساعة 10 مساءً كان يوم العمل يتدفق بلا هوادة إلى أمسياتها وعطلات نهاية الأسبوع، مما يُضعف حياتها الاجتماعية بشكل ممنهج. وجدت نفسها ترفض الدعوات باستمرار، وتتغيب عن التجمعات العائلية، وتشاهد صداقاتها خارج العمل تتلاشى ببطء بسبب الإهمال. كانت تشكو بصوتٍ مُشوب بالإرهاق، وهو شعورٌ عميقٌ بالإرهاق لا ينم عن مجرد إرهاق جسدي: "حياتي الاجتماعية تتدهور بسبب عبء العمل في Forcivate". وتفاقمت وطأة هذا الشعور بتعليقات أصدقائها خارج الشركة العابرة، الذين كانوا غالبًا ما يسخرون منها: "نعمل أقل ونحصل على أجور أعلى". لم يكن هذا مجرد مزاحٍ مرح؛ بل كان تذكيرًا دائمًا ومؤلمًا باختلال التوازن الملحوظ بين جهودها ومكافأتها، مما عمق شعورها بعدم التقدير والاستغلال. كانت تُكرّس طاقتها وإبداعها ووقتها في عملها، وغالبًا ما تتجاوز حدودها، لتشعر أن مساهماتها تُهمل باستمرار أو تُقلل من شأنها من قِبل نفس الأشخاص الذين كانت تحاول إبهارهم. حملةٌ مُصمَّمةٌ بعناية، وزيادةٌ ملحوظةٌ في التفاعل – هذه الإنجازات غالبًا ما قوبلت بالصمت أو بـ"المتوقع" المُستهجن، بدلًا من الثناء الحقيقي. كان الشعورُ بالإرهاق، وإن لم يكن كافيًا أبدًا، رفيقًا دائمًا، عباءةً ثقيلةً لا تستطيعُ التخلُّص منها.

زاد من هذا الضغط الهائل السُمّية المُتفشية المُنبعة من نايرا، مديرة العمليات. كان أسلوب نايرا الإداريّ عنيدًا، مُتسلطًا على كل تفصيلة في العمل، لا يترك مجالًا للاستقلالية أو التفكير المُستقل. كان عليها أن تُدير كل قرار، مهما كان بسيطًا، وأن تُدقّق في كل مُحتوى، وأن تُصاغ كل رسالة بريد إلكتروني تحت مراقبتها. كانت مُفرطة في النقد، تُسارع إلى الإشارة إلى العيوب بنبرة لاذعة، وتبطئ بشكل مُؤلم في تقديم الثناء، مما يخلق جوًا من القلق المُستمر والشك الذاتي الذي خنق الإبداع. كثيرًا ما كانت روان تُصف شخصية نايرا "السامّة"،

واصفةً كيف كانت كل مُحادثة تُشبه المشي على قشر البيض، خوفًا من انفجار أو نقد لاذع قد يُعيق يومها بأكمله. كانت نايرا تُشعر روان بالضآلة وعدم الكفاءة، وأنها مُراقبة باستمرار، بغض النظر عن مقدار الجهد الذي تبذله روان في مهامها. هذه الديناميكية جعلت روان لا تُكافح عبء العمل المُرهق فحسب، بل تُكافح أيضًا الاستنزاف العاطفي العميق لرئيستها المُعادية الذي بدأت مُصممَّة على تقويض ثقتها بنفسها وتقليص قيمتها الذاتية. كان الضغط المُستمر على الأداء تحت هذه النظرة الناقدة مُرهقًا، مما ترك روان تشعر بصدمة عاطفية وتوتر دائم.

رغم هذه التحديات الهائلة – عبء العمل المُرهق، وتآكل حياتها الشخصية، والضغط النفسي المُستمر الذي ألحقته بها نايرا – بقيت روان. والسبب، كما أخبرت أصدقاءها صراحةً، بل وألمّحت لي أحيانًا، هو نحن. قالت: "أنتَ ودنيا هما سبب بقائي في Forcivate"، في شهادة على هشاشة الروابط الإنسانية التي رسّختها في بحرٍ من الخلل المؤسسي. في بيئة عملٍ تزداد فيها اللاإنسانية، حيث تُتجاهل جهودها وتُستنزف روحها من قِبل مديرة عملياتٍ مُسرف، كان وجودنا هو ملاذها، و سببها الوحيد للاستمرار. مكالماتي الليلية المتأخرة، المليئة بالنكات المُشتركة، والرؤى المهنية، وإيقاع روحٍ مُريحةٍ تُشبه روحي، منحتها استراحةً حيويةً من ضغوط الحياة اليومية، ومساحةً تتنفس فيها وتشعر بأنها تُرى بصدق. دنيا، زميلة أخرى، قدّمت نوعًا مختلفًا من الرفقة، وشعورًا مشتركًا بالتضامن في وجه عبث الشركة، ورفيقةً تُفصح معها روان عن إحباطاتها وتجد معها لحظةً من التفاهم المشترك. كنا ركائزها، الرابطة الإنسانية التي جعلت من "Forcivate" قفصًا ذهبيًا، بما تحمله من وعود ضمنية بالتقدم الوظيفي والاستقرار المالي، أمرًا محتملًا بما يكفي لتحمله. تشبثت بهذه الروابط، آملةً أن تكون كافيةً لتتجاوز اليأس المتزايد، غافلةً عن العاصفة التي كانت على وشك الانفجار، لتختبر أسس آخر دعمٍ متبقٍّ لها، مُهددةً بتحطيم السلام الهش الذي وجدته في وجودنا المشترك.

الفصل السادس: حادثة الشعار – الاصطدام

كان القفص الذهبي لشركة Forcivate، الذي وعد بالكثير في السابق، يُحكم قبضته الآن، ويتلاشى بريق الفرصة أمام واقعها البارد القاسي. أصبح الهواء الداخلي أرق، مشحونًا بتوتر غير مُعلن يتردد صداه تحت سطح كل تفاعل مهني، وكل تبادل بريد إلكتروني، وكل اجتماع مُستعجل. اشتدت الضغوط الخفية من محمد، الرئيس التنفيذي، لتصبح تهديدًا ملموسًا وخانقًا للترقية الإدارية التي كنت أتوق إليها بشدة – ترقية لم تُمثل فقط أمانًا ماليًا، أو قفزة كبيرة ومُغيرة للحياة في الدخل مقارنةً بالمعايير المصرية، بل فرصةً للنجاة أخيرًا من ظلال خيانة فريزة المُتبقية. كان هذا هو طريق هروبي، و إثباتي، ودليلي على قدرتي على بناء شيء مُستقر بعد كل ما انهار من حولي. كان محمد واضحًا، بل شبه مُهووس، بشأن الشعار؛ لم يكن مجرد عنصر تصميم، أو مجرد رسم بياني، بل كان تضمينه الصحيح كأيقونة على كل بريد الإلكتروني، وكل اتصال خارجي، وتفصيل دقيق رآه أساسيًا لهوية الشركة. كانت هذه تعليمات مباشرة، تكررت في اجتماعات متعددة، ورُسِمَت في وعينا الجماعي حتى بدت وكأنها وصية مقدسة، مبدأً لا غنى عنه في حياتنا المهنية. كنت أعلم أن مستقبلي في Forcivate، ومساري المهني، يتوقف على هذه التفاصيل التي تبدو صغيرة، لكنها بالغة الأهمية. كان ثقل توقعاته يضغط عليّ، كتذكير دائم وساحق بما كنت سأكسبه، وما كنت سأخسره إذا فشلت في تلبية معاييره الصارمة. كان طموحي، وإحساسي بقيمتي الذاتية، مرتبطين ارتباطًا وثيقًا بهذا الصعود، بهذا الوعد الهش بالاستقرار.

ثم جاء البريد الإلكتروني. كان اتصالاً بالغ الأهمية، رسالة بالغة الأهمية موجهة إلى أصحاب المصلحة الرئيسيين أو العملاء المحتملين، تحمل في طياتها ثقل مبادرة جديدة أو تحديثًا جوهريًا. كان من المقرر إرسالها يوم أحد، يوم بدا كجسر هش، يربط بشكل غير مستقر بين أسبوع العمل المحموم والمرهق وراحة نهاية الأسبوع الهادئة، شبه المقدسة. كان يومًا تتضاعف فيه الأخطاء، حيث تضعف الحواجز وطبقات الرقابة المعتادة، مما يترك مجالًا ضيقًا للخطأ. كانت روان مسؤولة عن إرسالها، وهي مهمة كانت ستُعتبر، في الظروف العادية، روتينية، مجرد تنفيذ بسيط لتوجيه واضح. لكن لا شيء في Forcivate كان طبيعيًا حقًا. كنت أعلم أنها كانت تحت ضغط هائل، تُكافح عبء عملها المُرهق – فيضان لا هوادة فيه من المهام من الساعة الثانية ظهرًا حتى العاشرة مساءً، وغالبًا ما يتجاوز ذلك بكثير، يُستنزف بلا هوادة وقتها الشخصي، ويُضعف حياتها الاجتماعية، ويتركها منهكة دائمًا. علاوة على ذلك، كانت سمية نايرا، مديرة العمليات، المُنهكة للروح والمُستنزفة. لقد قوّضت إدارة نايرا المُفصّلة وانتقاداتها اللاذعة ثقة روان، جاعلةً كل قرارٍ حقل ألغام، وكل فعلٍ مُحفوفًا بخطر توبيخٍ لاذعٍ أو توبيخٍ علني. لكن ما لم أُدركه تمامًا هو التسلسل المُحدّد للأحداث من جانبها، والطبقات الدقيقة لتفاعلها مع نايرا التي أدّت إلى هذا السهو. روان، مُلتزمةً بالبروتوكول، أرسلت بريدًا إلكترونيًا تجريبيًا، وهو إجراءٌ قياسيٌّ مُصمّمٌ لاكتشاف الأخطاء قبل نشره على نطاقٍ أوسع. ونايرا، في تسرّعها المُعتاد، أو ربما لامبالاة، وعقلها مُنشغلٌ بالفعل بالمهمة العاجلة التالية، أعطت الموافقة السريعة "تم" – حسنًا – دون، كما اتضح، التحقق من وجود الشعار أو وظيفته. روان، واثقة بكلمة رئيسها، متلهفةً للوفاء بالموعد

النهائي والانتقال إلى المهمة الصعبة التالية، غافلةً عن مدى إلحاح أو تعقيدات دمج الشعار في الرسالة النهائية، مضت قدمًا في التوزيع. أُرسل البريد الإلكتروني. بدون الشعار. تفصيلٌ يبدو تافهًا، لكنه قد يُطلق سلسلةً من ردود الفعل المدمرة.

كانت التداعيات فورية ووحشية، هزة مفاجئة وعنيفة هزت أسس عالمي المهني الذي بنيته بعناية. كان صمت محمد وجيزًا، هدوءًا مرعبًا يسبق العاصفة، سرعان ما حل محله غضبه المتفجر. محمد، الرجل المعروف بنفاد صبره، الذي يشتعل غضبه في لحظة كحريق جاف، انفجر غضبًا. لم يكن غضبه الحاد واللاذع موجهًا نحو النظام المعيب الذي سمح بمثل هذا السهو، أو نحو إهمال نايرا الواضح في الموافقة على البريد الإلكتروني التجريبي، بل موجهًا إليّ مباشرةً وبلا لبس. صوته، وإن لم يكن صراخًا، حمل شدةً مخيفة، غضبًا مكتومًا يوحي، إن لم يكن صريحًا، "أنت مسؤول عن هذا". علقت الكلمات في الهواء، اتهامًا ثقيلًا. الترقية، العمل الجاد، أشهر الكفاح، الأمل الهادئ بمستقبل مستقر – كل ذلك بدا مهددًا في لحظة، ينهار أمام عينيّ كقلعة رملية أمام مدّ صاعد. كنتُ المديرَ، الشخصَ الواعد، الشخصَ الذي يُشرفُ على المتدربين، وكان هذا، في نظر محمد، خيانةً صريحةً للثقة، وفشلاً علنياً في عهدي. أصبح الخوفُ من أن أكون "كبش فداء"، وهو مصطلحٌ سأستخدمه لاحقاً لوصف ثقافة اللوم الخبيثة في الشركة، واقعاً مرعباً وغريزياً، ورعباً بارداً اجتاحني. لم تكن كلماته مجرد انتقادٍ مهني؛ بل كانت ضربةً شخصيةً تُردِّد صدى ألم الخيانة العميق الذي عانيتُه للتو مع فريزة. شعرتُ وكأن ثقةً أخرى قد خُدعت، ووعداً آخر قد بُطئ، وهذه المرة، كانت مسيرتي المهنية، ومستقبلي المالي، بل مساري المهني، على المحك. ضغط عليّ ثقلُه، مُهدِّداً بسحقي، تاركاً إياي ألهثُ لالتقاط أنفاسي، يائساً من النجاة.

في تلك اللحظة من الذعر الشديد والخطر المهني، انكسرت قوقعتي الصلبة، تلك التي بنيتها بشق الأنفس بعد خيانة فريزة المدمرة، بصوتٍ مدوٍّ. كانت آلية دفاعٍ بدائية لا إرادية، فعلًا يائسًا للحفاظ على الذات. انطلقت استجابة الصدمة، سريعةً وقاسية، متجاوزةً كل منطقٍ وتعاطف، وكل الشفاء اللطيف الذي قدمته روان. انطلق عقلي مسرعًا، مستهلكًا برغبةٍ عارمةٍ في صرف اللوم، لإيجاد شخصٍ ما، أي شخص، يتحمل وطأة هذا الفشل، لحماية نفسي من جرحٍ مدمرٍ آخر، وإذلالٍ علنيٍّ آخر، وكسرٍ شخصيٍّ آخر. لمعت أمام عيني ذكرى قسوة فريزة العفوية، والعار العلني لخيانتها، في مونتاجٍ حارق، مما أجج عزمًا يائسًا على تجنب مصيرٍ مماثلٍ في Forcivate. ضاق رؤيتي، وركزتُ فقط على البقاء، على إيجاد مهربٍ فوريٍّ من الضغط الساحق الذي هدد بابتلاعي. وبعد ذلك، بدأت المحادثة مع روان، وهي ساحة معركة رقمية حيث سيتم التضحية بوحشية باتصالنا الهش، وهو الشيء الذي كان يشفيني.

وصلت رسالة روان الأولى، ومضة من الارتباك في كلماتها، وسؤال متردد بدا ساذجًا تقريبًا في براءته:هل كنت تقصد فريق العلاقات العامة بي؟كان ردي فوريًا، لاذعًا، خاليًا من الدفء الذي كنا نتشاركه عادةً، اتهامًا باردًا وشفهيًا. أخبرتها أنني أقصد من أرسل البريد الإلكتروني دون التحقق من الشعار، وكانت كلماتي هجومًا مُبطّنًا. ألحّت عليّ، وكانت كلماتها الرقمية تُعبّر عن عدم تصديق وألم عميق، مناشدةً يائسةً للتوضيح، محاولةً يائسةً لفهم سبب انقلابي عليها:هل كنت تقول إن الأمر كله علي؟ هل كانت كل هذه الرسائل موجهة لي؟

لقد تشددت عزيمتي، وترسخت اليقينية الباردة التي لا تتزعزع في أحشائي، وتغلب خوفي على أي تعاطف متبقٍ. إذا كنتي مسؤولاً، إذن نعم، أكدتُ، بكلماتٍ باردةٍ لا تلين، كخطٍّ رُسم على الرمال، إعلانٌ عن ذنبها. حُوصِرتُ في الزاوية، أكافح من أجل حياتي المهنية، من أجل المستقبل الذي راهنتُ عليه بكل شيء، وفي تلك اللحظة اليائسة، أصبح الشخص الذي كان معالجي اللاواعي، ومرساتي في العاصفة، في ذهني المرعوب، السبب المباشر لمعاناتي المتجددة. حسنًا، لقد أرسلت البريد الإلكتروني و أوقعتنا جميعًا في مشكلة، لقد كتبت هذا، وكان الاتهام واضحًا، والتلميح إلى أنها تعمدت أو أهملت و عرضتنا جميعًا للخطر، وهي خيانة للثقة التي شعرت أنها تستحقها لي، وتحريف صارخ لنواياها وجهودها.

كانت ردود روان محاولة يائسة ومُستميتة لشرح وجهة نظرها والدفاع عنها وفهمها، وفهم روايتها للقصة، والضغط الذي كانت تتعرض له، والوضع المُستحيل الذي وُضعت فيه. احتجت بشدة، وكانت كلماتها الرقمية تُعبّر عن موجة مُتصاعدة من الإحباط والألم، مُنكرةً اتهامي لها بـ"تلبيسها" وإلقاء اللوم عليها ظلماً. ذكّرتني بأن نايرا قد منحتها "الموافقة الصريحة والسطحية" التي أطلقت سلسلة الأحداث هذه، وهي تفصيلة كان ينبغي أن تُبرئها، لكنني رفضتُ الاعتراف بها في ذعري. أصرت على أنها "لم تكن تعلم" أن الشعار مُخصص لـهذا البريد الإلكتروني المحدد أو أنه كان يجب القيام بذلك بهذه السرعة، مُفسّرةً عدم إدراكها لضرورة الإلحاح أو التعقيدات التقنية لدمج الشعار. كانت كلماتها سيلاً من الأعذار المبررة، والظروف المُخففة، لكن خوفي، وهلعي، كانا أشدّ من أن أُنصت إليهما حقّاً، أو أن أستوعب وجهة نظرها حقّاً، أو أن أرى ما وراء تهديدي المُباشر. كنتُ مُحاصراً في وضعية دفاعية، لا أرى سوى التهديد الذي يُحيط بترقيتي، وخيبة أمل محمد المُحدقة، وأصداء الإهانات الماضية تُدوّي في أذنيّ، وتُطغى على كل شيء آخر. حتى أنني حثثتها على "قول ذلك في المجموعة" – أن تُلقي باللوم على نايرا، وتُلقيه على رئيسها، في محاولة يائسة، تكاد تكون جبانة، لإنقاذ نفسي. كان اقتراحاً رفضته على الفور، مُعزّزاً نزاهتها ورفضها المُستمر لإلقاء اللوم على الآخرين، حتى لو كان ذلك سيُنقذها، في تناقض صارخ مع أفعالي، وموقف أخلاقي رفيع كنتُ مُذعوراً جداً لدرجة أنني لم أُدركه.

كلما حاولت أن تشرح أكثر، كلما تعمقت أكثر، مدفوعا بالرعب الخام من تكرار الإذلال الذي ألحقته بي فريزة، من أن يُنظر إليّ على أنني ضعيفة أو غير كفؤة، من أن يُمزق مستقبلي الذي بنيته بعناية. لقد أرسلت البريد الإلكتروني بدون الشعار، فكيف لا يكون هذا خطأك؟ أصررتُ، ومنطقي باردٌ لا يلين، في محاولةٍ يائسةٍ للسيطرة على الموقف الذي بدا لي أنه يفلت من قبضتي بسرعة. أصبحت كلماتي أسلحةً، كلٌّ منها مصممٌ لدفع اللوم عني، وإلقائه عليها. دار الحديثُ في دوامةٍ، وكلُّ رسالةٍ بمثابةِ شظيةٍ زجاجيةٍ جديدةٍ بيننا، تخترقُ أعمقَ الرابطَ الهشَّ الذي بنيناه، وتقطعُ الخيوطَ الخفيةَ التي كانت تربطنا. بدا أن الدفءَ والضحكَ والأسرارَ المشتركةَ لمكالماتنا الليليةِ المتأخرةِ تتبخرُ في الهواءِ الرقميِّ البارد. لم تقم بعملك اتهمتها أخيرًا، بضربة قاسية وظالمة، هاجمت كفاءتها مباشرةً، رافضةً جهودها، ومعاناتها، وتفسيرها بالكامل. كانت خيانةً نكراء من شخص اعتبرته حليفًا، وصديقًا، ومؤتمنًا، شخصًا عاصرها في صراعاتها.

في تلك اللحظة، عدت إلى الحجر مرة أخرى، أكثر صلابة وبرودة من أي وقت مضى، والدفء الذي جلبته روان إلى حياتي انطفأ بقبضة الخوف المرعبة. الرجل الذي خيطته روان بصبر شديد، الشخص الذي وجد العزاء في ضحكها وأغانيها، الشخص الذي بدأ يثق مرة أخرى، اختفى، وحل محله الذات الدفاعية الجريحة التي كنت عليها من قبل، الذات التي اعتقدت أنني تركتها ورائي. جعلني خوفي من المعاناة، المضخم بسبب الجرح الطازج لغضب محمد والصدمة العميقة الجذور لفريزة، أهاجم بشكل أعمى الشخص الوحيد الذي كان مرساتي، ومعالجي، الشخص الذي منحني الأمل. دفعت بعيدًا اليد ذاتها التي أصلحتني بشق الأنفس، مضحيًا باتصالنا الهش على مذبح الحفاظ على الذات، معتقدًا، في ذعري، أنها الطريقة الوحيدة للبقاء على قيد الحياة. لم تكن حادثة الشعار مجرد حادث مهني؛ لقد كان تصادمًا مدمرًا بين صدمتي الماضية ومخاوفي الحالية، عاصفة مثالية حطمت الثقة الناشئة بيني وبين روان، تاركة وراءها دينًا عميقًا غير معلن سيطاردني لفترة طويلة بعد أن استقر الغبار، ندبة على روحي رفضت أن تتلاشى، تذكير دائم بتكلفة خوفي.

الفصل السابع: العواقب المباشرة

صمتت ساحة المعركة الرقمية لدردشتنا، لكن أصداء كلماتي القاسية، التي يغذيها الخوف وشبح خيانة فريزة، كانت أعلى بكثير من أي صمت. في تلك اللحظة، عدتُ كالحجر، ذاتًا مجروحة مدافعة عن نفسها تدفع اليد التي عالجتني بشق الأنفس بعيدًا. لم تكن حادثة الشعار مجرد حادثة مهنية، بل كانت تصادمًا مدمرًا بين صدمة الماضي ومخاوفي الحالية، محطمةً بذلك الثقة الناشئة بيني وبين روان، تاركةً جرحًا غائرًا ينزف حيث ازدهرت صلة هشة.

كان ما تلا ذلك مباشرةً صمتًا مُريعًا خيّم على تفاعلاتنا الافتراضية، مُستبدلًا دفء مكالماتنا الليلية المتأخرة ببرودةٍ مُلموسة بدت وكأنها تتسرب عبر الشاشة، مُبردةً هواء غرفتي. تبخرت بين عشية وضحاها تلك الرفقة البسيطة التي كنا نتشاركها يومًا ما، والمبنية على أسرارٍ مشتركة، ونكاتٍ هامسة، وتفاهمٍ فريدٍ يكاد يكون توارد خواطر. وحلّ محلها توترٌ خانقٌ مُحرجٌ يُخيم على الفضاء الافتراضي كلما تقاطعت مساراتنا في محادثاتٍ جماعية أو مكالمات فيديو مُجدولة. اختفت النظرات العابرة، التي كانت مليئةً بالمودة الضمنية أثناء مكالماتنا، أو اختفت ببساطة. اختفت الابتسامات الواعية، التي كانت يومًا ما سرًا مُشتركًا، من تعابيرها على الشاشة. بدا الاستياء المُشترك من عبث العمل، الذي كان يومًا ما تجربةً مُؤاتية، وكأنه ذكرى بعيدة، مُستحيلة، مُستبدلةً باحترافيةٍ باردة. لم تعد هناك مقاطع فيديو تيك توك عفوية تضيء هاتفي، ولا مزيد من التواصل غير الرسمي حول وجباتنا التي تتحدث عن رعاية أعمق، ولا مزيد من النكات المشتركة التي نفهمها فقط، والتي يتم تداولها بشكل تآمري عبر الفجوة الرقمية. لقد انقطع شريان الحياة الذي مدّته لي، والمرساة التي كنتها لها دون أن أعلم في بحار Forcivate الهائجة، بيدي المذعورة، جرح ذاتي نزف في الفضاء الرقمي بيننا. شعرت بالفراغ، غياب حاد ومؤلم حيث كان وجودها المريح، إحساس دائم بأطراف وهمية، نبض باهت لشيء مفقود. ومع ذلك، في حالة القلق المهني المستمرة، وما زلت أعاني من غضب محمد، وأتصارع مع ألمي الشخصي المتبقي من فريزة، لم أستطع بعد أن أدرك تمامًا العمق الحقيقي للضرر الذي ألحقته، أو الفراغ العميق الذي سيتبع ذلك قريبًا. ظل تركيزي أنانيًا على بقائي على قيد الحياة، وعلى التهديد الذي أتصوره لنفسي، أعمى عن الدمار الذي أحدثته لشخص آخر.

كان انسحاب روان سريعًا وقاطعًا، انسحابًا كاملًا على ذاتها، بدا متعمدًا ومُفجعًا في آنٍ واحد، وقد تفاقم بفعل طبيعة عملنا البعيدة. أصبح حضورها في الاجتماعات الافتراضية محدودًا، وكاميرتها غالبًا ما تكون مغلقة، وصوتها مكتوم إلا للضرورة القصوى. تغيرت لغة جسدها، حتى من خلال الشاشة؛ بدت كتفيها منحنية قليلًا، ونظرتها غالبًا ما تُركّز على شاشتها أو تتجاوزني، متجنبةً التواصل البصري المباشر في اللحظات النادرة التي تكون فيها الكاميرا مُشغّلة. توقفت عن بدء المحادثات تمامًا، وأصبحت ردودها مقتضبة، مجردة، وغالبًا ما تكون متأخرة، إن جاءت أصلًا، بنبرة جافة خالية من المشاعر، أعمق من أي كلمة غاضبة. اختفت الطاقة النابضة بالحياة التي

كانت تُضفيها على تفاعلاتنا، ذلك الفضول والدفء المُعدّيان اللذان جذباني، وحلّت محلهما مسافة هادئة وحازمة بدت كحاجز مادي لا يُقهر، زاد من غموضها انعدام القرب المادي. كان تناقضًا صارخًا ومُفجعًا مع روان التي قضت ساعات في المكالمات، تُغني مقاطع من الأغاني التي تُهدئ روحي وتُشارك أحلامًا ترسم مستقبلًا مُشرقًا، روان التي كانت يومًا ما منفتحة جدًا، وضعيفة جدًا معي. كانت تُغلق، تُغلق، تتراجع إلى حصن من صنعها، وأنا، لا أزال أترنح من غضب محمد واضطرابي الداخلي، لا يسعني إلا أن أشاهد، عاجزًا ومُحيرًا بشكل متزايد بسبب الهوة التي انفتحت بيننا. كل رسالة لم تُجب، كل نظرة مُبعدة، كل رد مُقتضب كان لسعة جديدة، تأكيدًا على الضرر الذي لا يُمكن إصلاحه، شهادة على مدى خيانتي لثقتها. كان صمتها يصم الآذان، تذكيرًا دائمًا بفشلي، كفنًا ثقيلًا يُغلف أيامي، يزداد حدةً بسبب قلة اللقاءات العرضية التي أتاحها العمل عن بُعد.

ثم جاء خبر مغادرتها شركة Forcivate. لم يكن الأمر مفاجئًا، ليس حقًا، ولا لأي شخص شهد كفاحها. كانت العلامات واضحة، تزداد وضوحًا مع مرور كل أسبوع: إرهاق متزايد في صوتها أثناء المكالمات، ونحيب يائس من عبء عملها في محادثاتنا الخاصة، ورعب واضح شعرت به عند ذكر اسم نايرا في اجتماعات الفريق. كنت أعرف كم كانت تكافح، ليس فقط مع عبء العمل الساحق والمتواصل الذي يلتهم حياتها من الثانية ظهرًا إلى العاشرة مساءً وما بعدها، والذي غالبًا ما يمتد إلى الساعات الأولى من الصباح، ولكن أيضًا مع إدارة نايرا الدقيقة المُدمرة والسامّة، التي بدت وكأنها تستمتع بتقويضها. لقد أسرّت لي، ولدنيا، مرات لا تُحصى، بأننا كنا سببها الوحيد للبقاء، وآخر ركائز دعمها المتبقية في شركة استنزفت روحها ولم تقدم لها سوى القليل في المقابل. لكن الآن، وقد انقطعت علاقتنا، وبدا أن آخر ركيزة دعم لها قد انهارت بيدي، لم يبقَ شيءٌ يُبقيها في ذلك القفص الذهبي. لقد طغى واقعها القاسي على وعد الشركة بمسيرة مهنية متألقة، واختفت مراسيها الشخصية، تاركةً إياها تائهةً في بيئة مهنية نائية ومعزولة. ومع ذلك، كان رحيلها بمثابة ضربة موجعة، لكمة في المعدة تركتني لاهثةً، نتيجةً نهائيةً لا يمكن إنكارها لأفعالي. لم يكن الأمر مجرد فقدان زميلة، شخصًا كنت أراها يوميًا في اجتماعات افتراضية وأتشارك معه أعباء العمل؛ بل كان فقدان الشخص الذي كان معالجي اللاواعي، الشخص الذي أسعدني، الشخص الذي أضاءت أحلامه عالمي المظلم لفترة وجيزة، مانحةً إياه لمحةً عن مستقبل كدتُ أؤمن به. كان الدليل الأخير الذي لا يمكن إنكاره على الدمار الذي أحدثته تلك المحادثة المروعة، نصبًا تذكاريًا لخوفي وفشلي، واضحًا جليًا في غيابها عن فضاءاتنا الرقمية المشتركة.

كانت محاولاتي الأولى لإعادة التواصل خرقاء، بل بائسة تقريبًا، نابعة من شعور غامض بالخسارة وأمل يائس غير مُعلن في إصلاح الضرر أكثر من فهم واضح ومتعاطف للألم العميق الذي سببته لها. كنت أرسل رسالة عابرة حول استفسار متعلق بالعمل، آملًا في ومضة من روان القديمة، وعودة إلى راحتنا السابقة. كنت أحاول محاولة عابرة لتبادل مهني في رسالة مباشرة، مجبرًا على استخدام نبرة مهذبة، على أمل أن تتفاعل. ومع ذلك، قوبلت كل محاولة بمسافة مهذبة ولكن حازمة، جدار من التحفظ لا يمكن اختراقه بنته بدقة حول نفسها في العالم الرقمي. لم تكن وقحة، ولم تندفع أبدًا بغضب أو لوم، لكنها كانت منيعة، دفاعاتها العاطفية الآن منتصبة بالكامل، وروحها

محمية. روان التي منحتني هذا الضعف العميق، والتي سمحت لي بدخول عالمها الداخلي، والتي شاركتني أعمق أحلامها ومخاوفها، أصبحت الآن محمية، وثقتها بي تبدو محطمة إلى حد لا يمكن إصلاحه. أصبح صمتها، وعدم تفاعلها مع مبادراتي، شكلاً جديدًا من أشكال المطاردة، حضورًا مستمرًا ومزعجًا في ذهني، صدى مستمرًا لندمي، يتضخم بسبب عدم وجود أي مساحة مادية لسد الفجوة. كان تذكيرًا دائمًا بالدين غير المسدد الذي يثقل كاهلي الآن، عبء لا أستطيع التخلص منه، اتهام صامت يتردد صداه في ليالي القاهرة التي لا تنام، ويزداد صوته مع مرور كل يوم. اتسعت الهوة بيننا مع مرور كل يوم، شهادة صارخة على هشاشة التواصل الإنساني والتكلفة المدمرة والطويلة الأمد للخوف، والتي زادتها الطبيعة المنعزلة للعمل عن بُعد عمقًا.

الجزء الثالث: الثقل والطريق إلى الأمام – الديون غير المسددة

الفصل الثامن: الهزات الارتدادية:

ساد الصمت ساحة دردشتنا الرقمية، ورحلت روان عن Forcivate. ترك رحيلها جرحًا غائرًا، فراغًا لا يسدّه أي طموح مهني أو تشتت محموم. حلّ محله ندمٌ كبيرٌ مؤلم، ثقلٌ ثقيلٌ مستمرٌّ في صدري بدا أنه يتزايد مع كل ساعة تمر، يضغط على روحي. حاولتُ يائسةً مقاومة الوحدة المتزايدة بالانغماس أكثر في العمل، وخاصةً بقضاء المزيد من الوقت في توجيه المتدربين الجدد. كانت وجوههم المتلهفة، وأسئلتهم البريئة، وطموحهم الناشئ، بمثابة استراحة مؤقتة، وإحساسٍ عابرٍ بالهدف خلال ساعات النهار. صببتُ معرفتي عليهم، شارحًا لهم استراتيجياتٍ معقدة، ومرشدًا لخطواتهم الأولى، آملًا أن أجد بعض الخلاص في رعاية الآخرين، وفي تشكيل مستقبلٍ أقلّ انكسارًا. لكنه كان درعًا هشًا يحميني من حقيقة انهياري الداخلي. كان الرضا عابرًا، كقشرة رقيقة فوق فراغ أعمق، مثل محاولة سد فجوة كبيرة بخيط واحد.

في الليل، حين تُدندن المدينة بأغنيتها المُرهقة ويأبى عقلي أن يهدأ، تبدأ ساعات الندم بعنف. تلك هي الساعات التي قضيتها يومًا في أحاديث مُريحة لا تنتهي مع روان، أجد العزاء في ضحكتها وتفهمها الهادئ، أشعر برابط بدأ يُعيد نسج خيوطي. الآن، تمتد تلك الساعات بلا نهاية، مليئة بإدراكٍ مُزعج لما فقدته، والأشد إيلامًا، كيف فقدته. صورة ألمها، ومحاولاتها اليائسة للشرح، وكلماتي الباردة العنيدة – تُعاد في حلقة مُعذبة لا تنتهي، سينما شخصية لإخفاقاتي، كل مشهد أكثر وضوحًا وألمًا من سابقه. البيئة المُتوترة والمُسممة بشكل متزايد في Forcivate، زادت من هذا العذاب الداخلي، وجعلت ساعات يقظتي خانقة وقاسية مثل ليالي الأرق. المكتب، الذي كان يومًا ما مكانًا للطموح، أصبح الآن أشبه بسجن. ثم، كانت هناك ذكرى مؤلمة لمحمد، الرئيس التنفيذي، وهو يعلن رحيل روان عرضًا في اجتماع فريق، ويصفها بعبارة باردة ورسمية: "غير لائقة ثقافيًا". أصبح تقاعسي في تلك اللحظة، وصمتي، وعجزي عن الدفاع عنها أو حتى الاعتراف بمساهماتها الحقيقية، حجرًا ثقيلًا آخر يُضاف إلى عبء ذنبي، ثقلًا ثقيلًا سقط على قلبي. هذا التجاهل العلني للشخص الذي كان بمثابة مرساة لي، إلى جانب تواطئي بالصمت، أجج حدة كوابيسي المتزايدة وعجزي العميق عن النوم. لم تعد الكوابيس تتعلق بفيرزة فحسب؛ بل امتزجت، لتصبح صورًا فوضوية من الخيانة والفشل المهني وشخصية روان المتراجعة، ووجهها محفور بالألم، تاركًا إياي أستيقظ وأنا أتصبب عرقًا باردًا، ألهث لالتقاط أنفاسي، أكثر إرهاقًا مما كنت عليه قبل أن أغمض عيني. تلاشى الخط الفاصل بين الحلم والواقع، ورافقني العذاب طوال اليوم.

قبل حادثة الشعار، وقبل رحيل روان، كانت آليات التكيف المعتادة لديّ – دخان الشيشة و مشروب لاتيه إسباني مثلج بارد، ضربات الملاكمة، وهدوء التجديف على النيل، ورفقة هادئة لقضاء الوقت مع الأصدقاء – بمثابة استراحاتي الموثوقة، ومحطات إعادة شحن طاقتي. كانت تلك اللحظات التي أستطيع فيها الابتعاد عن ضغوط الحياة، وتصفية ذهني، والعودة منتعشًا، مستعدًا لمواجهة يوم آخر، وتحدٍّ جديد. كانت تلك أفعالي الصغيرة للتمرد على الفوضى، ولحظات سلامي. ولكن بعد الاصطدام بروان، وبعد أن استقر شعور عميق بالندم، بدأت قوتها في التضاؤل، ثم تبدد تمامًا، مثل الماء في غربال. لم تعد تُعيد شحني. كان طعم دخان الشيشة باهتًا، لا يُتيح أي مهرب، مجرد طعم جاف لاذع من الفراغ. أما اللاتيه، الذي كان يومًا ما طقسًا مُريحًا، فلم يُقدم أي راحة، وحلاوته استهزاء مرير بالفرح الذي كان يجلبه في السابق. كان الجهد البدني للملاكمة أو التجديف، الذي كان في السابق تفريغًا للطاقة المكبوتة والإحباط، يبدو فارغًا، استنزافًا لا معنى له للطاقة، يجعلني منهكًا أكثر من منتعشًا. حتى الضحك مع الأصدقاء بدا لي أشبه بأداء استعراضي، محاولة يائسة وشفافة لمحاكاة الحياة الطبيعية التي لم أعد أشعر بها، ابتساماتي متوترة، وعيناي تكشفان عن اضطراب داخلي. مع كل يوم يمر، تتلاشى قدرتهما على منح أي شكل من أشكال الهروب أو التجديد، تاركتيني أكثر عرضة للعاصفة الداخلية، بلا مأوى. كنت أؤدي الحركات، أعيش حركات الحياة، لكن الجوهر، التحرر الحقيقي، اختفى، وحل محله ألم باهت ومستمر يخترق عظامي.

هذا التعب النفسي العميق تحوّل إلى ثقلٍ هائلٍ تجاوز مجرد الألم الجسدي. كان إرهاقًا وجوديًا، فقدانًا عميقًا للهدف، تغلغل في كل ذرةٍ من كياني، جعل حتى أبسط المهام تبدو هائلة، كجبالٍ تُحرّك. لماذا أعمل؟ لماذا أعيش؟ لماذا أحاول تحقيق ما أسعى إليه؟ أصبحت هذه الأسئلة لازمة مُنهكة مُستمرة في ذهني، صدىً لا يلين من الشك يُغرق كل الأفكار الأخرى. لم يكن ألمًا جسديًا في ظهري، مع أنه كان حاضرًا أيضًا بسبب الحادث، تذكيرًا دائمًا بتهور الماضي وعواقبه؛ كان انهيارًا عقليًا وعاطفيًا جعل مجرد النهوض من السرير يبدو مهمةً شاقة، جهدًا سيزيفيًا. اختفى دافع الحركة والمشي والانخراط في العالم، وحل محله جمود عميق ألصقني بسريري، بكرسيّ، بيأسي. تداخلت أيامي في حلقة مُملة من الاستيقاظ بلا هدف والوجود بلا فرح، كل لحظة عبء ثقيل. في الأسابيع الأخيرة في Forcivate، تجلى هذا اليأس الداخلي في انفصال عميق. لم أكن أهتم كثيرًا بالعمل، وشعرت بالترقية الموعودة جوفاء وبلا معنى، كشيء لامع لم يعد له أي جاذبية. لقد بدأت في استخدام أيام إجازتي المرضية بطريقة غير مسؤولة تقريبًا، ليس للتعافي الجسدي، ولكن للانسحاب العقلي، لمحاولة يائسة وغير مجدية للهروب من الثقل الساحق لأفكاري، والاختفاء ببساطة من مطالب العالم، وإيجاد لحظة من السلام لم تأت أبدًا.

كان قرار مغادرة Forcivate، رغم تأخره بسبب عوامل خارجية، قرارًا فوريًا في بدايته، وكان بمثابة محاولة يائسة للحفاظ على الذات. بعد الإذلال العلني الذي لحق بحادثة الشعار، وفي اللحظة التي رأيت فيها مسيرتي المهنية مهددة وعلاقتي بروان محطمة بشكل لا يمكن إصلاحه، انبثق مسار واضح للمضي قدمًا من بين الأنقاض. في تلك اللحظة اليائسة، انبثقت فكرة PenX، مشروعي الخاص، في

تحدٍّ للسيطرة، واستعادة سلطتي في عالم بدا لي أنه خارج عن سيطرتي بشكل متزايد. قدمتُ استقالتي عبر البريد الإلكتروني، مستعدًا لقطع العلاقات تمامًا، ولإهدار الجسور خلفي. لكن محمد ودنيا، ربما لشعورهما بحالتي النفسية، والضعف الكامن تحت مظهري الخارجي المتصلب، أو لإيمانهما الصادق بإمكانياتي بعد الأزمة الحالية، أقنعاني بالبقاء، لإعطاء Forcivate "فرصة أخيرة". على الورق، كنت أقضي فترة إشعار غير محدودة، وهي فترة غريبة حيث كنت لا أزال أعمل من الناحية الفنية ولكن عقليًا كنت في مكان آخر بالفعل، وكان ذهني مستهلكًا بمخططات PenX، والتفاصيل المعقدة لبناء شيء جديد، شيء ما. مِلكِي لم تكن هذه الفترة متعلقة بالتصالح مع Forcivate؛ بل كانت متعلقة بكسب الوقت، مناورة استراتيجية أخدم بها حتى الإطلاق الرسمي لPenX، جسر من حياة إلى أخرى، شر لا بد منه لضمان انتقالي. لقد تفاقم العبء المالي والنفسي الهائل لبناء PenX بميزانية محدودة، والمقامرة بكل ما تبقى لي – خزينتي، ومستقبلي نفسه – بسبب هذا العبء العاطفي العميق. فقدان الهدف، والندم المستمر، وأصداء فشلي مع روان المستمرة – لم يوقفوني، ولم يستطيعوا، لأن دافع البقاء كان قويًا جدًا. لكنهم جعلوا كل قرار أثقل، وكل شرارة إبداعية أصعب إشعالًا، وكل خطوة للأمام أشعر وكأنني أسحب نفسي عبر وحل كثيف، معركة شاقة مستمرة ضد تيار غير مرئي. كان أساس مشروعي الجديد يُوضع على أرضية عاطفية متداعية، شهادة على مرونتي، ولكنه أيضًا تذكير دائم ومؤلم بثمن ماضي، ظل ممتد طويلًا فوق أحلامي الوليدة.

الفصل التاسع: أنفاس Forcivateي الأخيرة وبداية جديدة

لم يكتفِ قفص Forcivate الذهبي، الذي وعد بالكثير يومًا ما، بتضييق الخناق عليه؛ بل بدأ يصدأ، ثم ينهار، وتقشر واجهته البراقة لتكشف عن التحلل الكامن تحتها. لم يكن التوتر الذي خيّم على أروقته الافتراضية، والضغوط المستمرة وغير العقلانية في كثير من الأحيان من محمد، وسمية نايرا الخبيثة والمدمرة للنفس، مستدامة. فالأسس التي بُنيت عليها الشركة – طموح بلا تعاطف، وسيطرة بلا اتجاه واضح، وسعي دؤوب للربح على حساب صحة الإنسان – معيبة في جوهرها. كان منزلًا مبنيًا على رمال، مصيره السقوط. حتى وأنا أراوح في "فترة الإشعار غير المحدودة"، وهي حالة غريبة ومربكة، حيث كان جسدي حاضرًا في بيئة العمل عن بُعد، بينما كان عقلي يشق مسارًا جديدًا، غارقًا في مخططات PenX، أصبحت علامات زوال Forcivate الوشيك جلية. كان تفككًا بطيئًا ومؤلمًا، ليس انهيارًا مفاجئًا، بل تدهورًا تدريجيًا كان من المرعب مشاهدته. كان هذا التفكك جليًا في رسائل البريد الإلكتروني المحمومة والمتناقضة التي ملأت صناديق الوارد لدينا، كل منها محاولة يائسة لسد صدع متزايد. كانت هناك رحيلات مفاجئة وغير مبررة لموظفين رئيسيين اختفوا ببساطة بين عشية وضحاها، تاركين وراءهم سلسلة من الأسئلة التي لم تتم الإجابة عليها والمهام غير الموكلة. بدأ شعور ملموس بالذعر يحل محل القلق السابق الأكثر دقة، ويتحول إلى خوف جماعي يخيم بثقله على كل اجتماع افتراضي. المشاريع التي كانت تحظى بالدعم الكبير في السابق توقفت الآن إلى أجل غير مسمى، وفقدت زخمها. أصبحت اتصالات العملاء غير منتظمة وغير احترافية، مما يعكس الفوضى الداخلية. تلاشت الوعود الكبرى بالتوسع العالمي والهيمنة على السوق لتتحول إلى محاولات يائسة أخيرة للبقاء، في تناقض صارخ ومؤلم مع الرؤية الأولية المبهرة التي جذبتني. المكتب الافتراضي، الذي كان يومًا ما مركزًا حيويًا، أصبح خاويًا بشكل متزايد، تطارده أشباح الإمكانات غير المحققة والأحلام المحطمة. الصمت على قنوات الفريق، التي كانت مليئة بالثرثرة، أصبح يصم الآذان.

كان مشاهدة هذا الانهيار بمثابة تبرير غريب، حلو ومرّ، مزيج معقد من الراحة والرضا الكئيب. غريزتي المبكرة، التي دفعتني لتقديم استقالتي عبر البريد الإلكتروني فورًا بعد حادثة الشعار، حتى قبل أن يتضح المدى الكامل لفساد الشركة، كانت دقيقة بشكل مخيف. لقد رأيت الشقوق، وشعرت بعدم الاستقرار، وتصرفت بناءً عليها. لم يكن هناك فرح في أن أكون على حق، ولا انتصار احتفالي، ولا رغبة في الشماتة. بدلاً من ذلك، لم يكن هناك سوى رضا هادئ وكئيب لأن تقييمي للخلل المتأصل في الشركة، وعيوبها القاتلة، كان صحيحًا منذ البداية. لم تكن لحظة انتصار؛ بل كانت تأكيدًا كئيبًا على أن النظام قد تعطّل بالفعل إلى حد لا يمكن إصلاحه، وأن تصميمه نفسه غير قابل للاستمرار، وأن معاناتي فيه، والثمن العاطفي والنفسي الذي فرضه، لم يذهب سدىً تمامًا. كان هذا يعني أن غرائزي، التي شحذتها حياةٌ من الإبحار في فوضى العارمة والخيانة، لا تزال حادة، قادرة على تمييز الحقيقة وسط الفوضى. المكتب الافتراضي، الذي كان يومًا ما سجنًا رقميًا، أصبح الآن أشبه بسفينة تغرق، أسطحها مائلة على نحوٍ خطير، وهيكلها يئن تحت وطأة ضغوطها الداخلية. وأنا، مع

الموالين القلائل المتبقين الذين تشبثوا بأملٍ آخذٍ في التلاشي، كنا ننتظر اللحظة المناسبة حتى يغرق تمامًا، نشاهد ما لا مفر منه يتكشف من مسافةٍ منفصلة، وإن كانت لا تزال متأثرة. الترقية الإدارية الكبرى، التي كانت يومًا ما شريان حياتي اليائس، والجائزة البراقة التي سعيتُ إليها بلا هوادة، بدت الآن وكأنها مكافأة جوفاء، سراب في صحراء من اضمحلال الشركات، خالية تمامًا من جاذبيتها السابقة، لقبٌ لا معنى له في إمبراطوريةٍ تحتضر. كان الصرح بأكمله ينهار، وكنتُ مجرد مراقب، أنتظر الانهيار النهائي الرحيم.

ولكن حتى بينما كانت Forcivate تلتقط أنفاسها الأخيرة المتقطعة، وحتى بينما كانت جدران ذلك القفص الذهبي تنهار من حولي، كانت بذرة جديدة تنبت في أرض يأسي الخصبة. فكرة PenX، التي أشرقت في لحظة إذلالي العلني وثقة روان المحطمة، أصبحت الآن تركيزي الوحيد الثابت، جمرة مشتعلة في الظلام. لم تكن مجرد فكرة عمل؛ بل كانت فعلًا جريئًا للسيطرة، واستعادة سلطتي في عالم شعرت أنه أصبح خارج نطاق قبضتي بشكل متزايد، ثورة شخصية ضد القوى التي سعت إلى كسري، وتعريفي بإخفاقاتي. لقد بُنيت Forcivate على الطموح، نعم، ولكن في النهاية، على ثقافة عززت الخوف واللوم والمنافسة الشرسة والتجاهل العميق لرفاهية موظفيها. ستكون PenX مختلفة تمامًا. ستكون مِلكِي بُنيَتْ من الصفر على المبادئ الأساسية التي آمنتُ بها إيمانًا راسخًا: النزاهة، والشفافية، واحترام كل فرد، والتواصل الإنساني الصادق – وهي قيمٌ غابتْ بشكلٍ واضحٍ في حياتي المهنية الأخيرة. ستكونُ مكانًا يُقدَّر فيه الناس لإسهاماتهم، لا لاستغلالهم لنتاجهم فحسب، حيث تُصبح الأخطاءُ فرصًا للتعلم، لا أسبابًا للتشهير العلني أو إلقاء اللوم على الآخرين. ستكونُ ملاذًا، مكانًا تُعطى فيه الأولوية للعنصر البشري، حيث تزدهر الثقةُ حقًا.

لم يكن ميلاد PenX براقًا، ولم يكن إطلاقًا كبيرًا مع ضجة وضجة المستثمرين، ولا بيانات صحفية مصقولة أو حفلات باذخة. لقد كان خامًا، شجاعًا، وشخصيًا للغاية، طائر الفينيق ينهض من رماد حطامي المهني والعاطفي. لقد كان مدفوعًا بالصدمة، نعم، بالألم الخام النابض للخيانات الماضية وثقل الندم الساحق الذي لا يزال ملتصقًا بي مثل الكفن، تذكيرًا دائمًا بتكلفة أخطائي. ولكنه كان مدفوعًا أيضًا بأمل هائل ويائس – أمل في طريقة أفضل، وبيئة أكثر صحة، وهدف أكثر أصالة، وفرصة لإثبات لنفسي أنني أستطيع بناء شيء ذي معنى حقًا. كنت أراهن بكل ما تبقى لي – خزانتي الضئيلة، ومستقبلي نفسه، وكل ذرة من مواردي المتضائلة، وكل ذرة من طاقتي المتبقية. كانت الميزانية المحدودة تعني أن كل قرار كان حاسمًا، وأن كل قرش كان محسوبًا، وأن كل مورد كان يُستغل إلى أقصى حد، متطلبًا مستوى من البراعة لم أكن أعلم أنني أمتلكه. لم تكن هناك شبكة أمان، ولا هيكل مؤسسي أعتمد عليه، ولا اسم تجاري راسخ أعتمد عليه لبناء المصداقية. لم يكن هناك سوى أنا، ورؤيتي، والدروس المستفادة بشق الأنفس من حطام ماضي، في رحلة وحيدة نحو المجهول. أصبح هذا المشروع الجديد غايتي الجديدة، وسببًا يدفعني للنهوض من فراشي كل صباح، لأتجاوز التعب المستمر والأسئلة المُلحة "لماذا أعمل؟" التي أثقلت كاهلي في أيامي الأخيرة في Forcivate. كانت فرصة لبناء شيء من الصفر، ليس مجرد شركة، بل ثقافة، وإرثًا يتناقض تمامًا مع صرح Forcivate المتهاوي. كان ذلك عملاً إبداعياً متحدياً ولد من الدمار، ومحاولة يائسة ومصممة

للبحث عن النور في الظلام المتزايد، وشهادة على القوة الدائمة للروح البشرية لإعادة البناء والابتكار وإيجاد المعنى، حتى عندما يبدو كل شيء ضائعاً بشكل لا رجعة فيه.

الفصل العاشر: لمحة بعيدة

انتهى أخيراً القفص الذهبي لشركة Forcivate، المتداعي والمتآكل بفعل عيوبها الداخلية. لم يكن هناك تراجع بطيء، ولا تقليص تدريجي للعمليات، ولا هبوط سلس لموظفيها، ولا انتقال سلس. بل جاءت نهايتها فجأةً و وحشية، بكفاءة باردة وغير شخصية في اجتماع افتراضي مقتضب بدا أقرب إلى حكم نهائي رافض منه إلى إعلان مهني. عُقد الاجتماع في منتصف عطلة العيد، وكان بمثابة زعزعة قاسية لأي سلام عابر قد نجده، وتذكير قاسٍ بأن حتى وقتنا الشخصي كان عرضة لأهواء الشركة وزوالها النهائي. نقل محمد، الرئيس التنفيذي، الخبر بانفصال مخيف، بصوت خافت خالٍ من العواطف، معلناً الأمر المحتوم: Forcivate ستطردنا جميعاً، اعتباراً من الآن. الشركة، التي كانت في يوم من الأيام منارة أمل جذبتني بجاذبيتها البراقة، ثم مصدرًا لضغط هائل وألم شخصي عميق، سأتركها رسميًا بحلول الأول من أبريل عام 2025. لقد علقت نهايتها في الهواء الرقمي، علامة ترقيم قاتمة لفصل مضطرب من حياتي، نهاية حاسمة وغير احتفالية للحلم المؤسسي الذي تحول بشكل مذهل إلى كابوس. دفعتي الإجمالية، آخر رابط ملموس لتلك الفترة المضطربة، حساب نهائي لوقتي وجهودي، رقم بارد وصعب، وصلت أخيرًا بحلول يونيو 2025، مجرد معاملة مالية لم تستطع، ولن تمحو، التكاليف النفسية الأعمق والندوب المحفورة في روحي. إن انهيار Forcivate، على الرغم من أنه تأكيد قاتم لغرائزي السابقة وصحة قراري بالمغادرة، لم يجلب أي راحة حقيقية، ولا شعور بالنصر. كان انتصارًا قاتمًا، يكاد يكون أجوفًا، شهادةً على العيوب المتأصلة التي لمستها في أساسه، وثقافته غير المستدامة، ولكنه أيضًا تذكيرٌ صارخٌ بالحطام الواسع الذي خلّفه وراءه – مساراتٍ مهنية مُحطّمة، وثقةٌ مُتزعزعة بين الزملاء، وندوبٌ باقيةٌ لبيئةٍ سامةٍ مُثقلةٍ باللوم استهلكت الكثيرين. كان الانهيارُ كاملًا، وتُركتُ لأُنقّب بين الأنقاض.

من بين ذلك الحطام، ولعلّه أكثر الضحايا إيلامًا، والذي ظلّ يُطاردني في يقظتي ومنامي، كانت علاقتي بروان. بعد رحيلها عن Forcivate، لم يُدمّر خطّ تواصلي معها فحسب، بل انقطع بشكلٍ لا رجعة فيه، كحبلٍ مشدود. لم تكن هناك أخبار، ولا تحديثات عابرة تتسرّب من الأصدقاء المشتركين، ولا همسات غير مباشرة عن مكانها أو مشاريعها الجديدة. كان الصمت الرقميّ من جانبها مُطلقًا، مُتناقضًا بشكلٍ صارخٍ ومؤلمٍ مع التدفق المُستمرّ للرسائل والمكالمات التي كانت تُحدّد يومًا ما علاقتنا، سيلًا نابضًا بالأفكار المُشتركة والضحكات. ازداد الفراغ الذي خلّفته في حياتي المهنية والشخصية عمقًا مع كلّ يوم يمرّ، مُصبحًا حضورًا مُستمرًا ومؤلمًا، كطرفٍ شبحيّ من التواصل ينبض مع كلّ لحظة. انضم غيابها إلى صدمة خيانة فريزة المتراكمة، متشابكًا في سردية خانقة واحدة في ذهني، صدىً لا يلين لإخفاقاتي، وجوقة من لوم الذات. بدأت أرى نفسي، بوضوحٍ مُريع لا يُقدم أي عزاء، بل شعورًا عميقًا بالذنب، جزارًا ذبح روحها، روحها، بل إرادتها في العمل. كان هذا اللوم رفيقًا دائمًا، ثقلًا ثقيلًا على ضميري، ظلًا يلازمني. بناءً على آخر ما عرفته، بدا أن ثقل Forcivate الساحق، المُضخّم بفعل أفعالي القاسية النابعة من الخوف، قد أطفأ دافعها، تاركًا إياها، على حد علمي، عاطلة عن العمل، تائهة بلا هدف في عالم بدا يومًا ما مليئًا بالوعود والفرص. هذا الإدراك، هذا الشعور العميق بالذنب، أضاف طبقةً أخرى من الثقل

على كاهلي، دينًا بدا سداده مستحيلًا على نحو متزايد، عبءً حملته وحدي في ليالي القاهرة المُرهقة، كفارةً صامتة. لم يعد الندم عاطفة عابرة يمكن دفعها جانبًا؛ بل أصبح مقيمًا دائمًا، ومتهمًا صامتًا في الساعات المظلمة الهادئة، وصوته يزداد ارتفاعًا وإلحاحًا مع كل لحظة تمر.

ومع ذلك، في خضم هذه العواقب الشخصية والمهنية العميقة، ووسط حطام Forcivate وصمت غياب روان المزعج، كانت بداية جديدة تتشكل ببطء وجهد. PenX، الفكرة التي أبصرت النور في لحظة إذلالي العلني وثقة روان المحطمة، لا تزال تُبنى، لبنة تلو الأخرى، عملاً إبداعياً جريئاً في وجه كل الصعاب. لم يكن الأمر مجرد مشروع تجاري؛ بل كان عملاً جريئاً للسيطرة، لاستعادة سلطتي في عالم بدا لي أنه خارج عن سيطرتي بشكل متزايد، ثورة شخصية ضد القوى التي سعت إلى تحطيمي، وتعريفي بإخفاقاتي وماضي. بُني Forcivate على الطموح، نعم، ولكن في نهاية المطاف، على ثقافة عززت الخوف واللوم والمنافسة الشرسة وتجاهلاً عميقاً لرفاهية شعبها، منزل مبني على أساس من الرمال والأكاذيب. سيكون PenX مختلفاً جذرياً. سيكونمِلكِيبُنيَ هذا المكان من الصفر على المبادئ الأساسية التي آمنتُ بها إيمانًا راسخًا: النزاهة، والشفافية، واحترام كل فرد، والتواصل الإنساني الصادق – وهي قيم غابت بشكل واضح في حياتي المهنية الأخيرة. سيكون مكانًا يُقدَّر فيه الناس لإسهاماتهم، لا لمجرد استغلالهم لنتاجهم، حيث تُصبح الأخطاء فرصًا للتعلم، لا أسبابًا للتشهير العلني أو إلقاء اللوم على الآخرين. سيكون ملاذًا، مكانًا تُعطى فيه الأولوية للعنصر البشري، حيث تزدهر الثقة حقًا، وترياقًا مباشرًا للسمية التي عانيتُ منها.

لم يكن ميلاد PenX براقًا، ولم يكن إطلاقًا كبيرًا مع ضجة وضجة المستثمرين، ولا بيانات صحفية مصقولة أو حفلات باذخة. لقد كان خامًا، شجاعًا، وشخصيًا للغاية، طائر الفينيق ينهض من رماد حطامي المهني والعاطفي. لقد كان مدفوعًا بالصدمة، نعم، بالألم الخام النابض للخيانات الماضية وثقل الندم الساحق الذي لا يزال متشبثًا بي مثل الكفن، تذكير دائم وخانق بتكلفة أخطائي. ولكن كان مدفوعًا أيضًا بأمل هائل ويائس – أمل في طريقة أفضل، وبيئة أكثر صحة، وهدف أكثر أصالة، وفرصة لإثبات لنفسي أنني أستطيع بناء شيء ذي معنى حقًا، شيء يدوم. كنت أراهن بكل ما تبقى لي – خزانتي الضئيلة، ومدخراتي بأكملها، ومستقبلي نفسه، وكل ذرة من مواردي المتضائلة، وكل ذرة من طاقتي المتبقية. كانت الميزانية المحدودة تعني أن كل قرار كان حاسمًا، وأن كل قرش كان محسوبًا، وأن كل مورد كان يُستغل إلى أقصى حد، متطلبًا مستوى من البراعة والإبداع لم أكن أعلم أنني أمتلكه. لم تكن هناك شبكة أمان، ولا هيكل مؤسسي أعتمد عليه، ولا اسم تجاري راسخ أعتمد عليه لبناء المصداقية. لم يكن هناك سوى أنا، ورؤيتي، والدروس المستفادة بشق الأنفس من حطام ماضي، في رحلة وحيدة نحو المجهول المخيف. أصبح هذا المشروع الجديد غايتي الجديدة، وسببًا يدفعني للنهوض من فراشي كل صباح، لأتجاوز التعب المستمر والأسئلة المزعجة "لماذا أعمل؟" التي أثقلت كاهلي في أيامي الأخيرة في Forcivate. كانت فرصة لبناء شيء من الصفر، ليس مجرد شركة، بل ثقافة، وإرثًا يتناقض تمامًا مع صرح Forcivate المتهاوي. كان ذلك عملاً

إبداعياً جريئاً وُلِد من الدمار، سعياً يائساً وعازماً نحو النور في الظلام الدامس، شهادةً على قدرة الروح البشرية الدائمة على إعادة البناء والابتكار وإيجاد المعنى، حتى عندما يبدو كل شيء ضائعاً لا رجعة فيه. كان هذا طريقي نحو الخلاص، رحلة طويلة وشاقة، لكنني عزمت على السير فيها، خطوةً خطوة، نحو تلك اللمحة الخافتة البعيدة من المستقبل.

الفصل الحادي عشر: ضرورة الشفاء

كان حطام Forcivate خلفي، شهادةً قاتمة على فصلٍ انتهى، وصمته الأخير المُدوّي يُتناقض تمامًا مع الفوضى التي جسّدها يومًا ما. ومع ذلك، لم يكن الحطام خارجيًا فحسب، مُنتشرًا عبر المشهد الرقمي لشركةٍ مُنحلّة؛ بل كان مُترسّخًا في أعماقي، مُختلطًا بجراحٍ قديمةٍ لم تُعالَج، تقيّحت لسنوات، مُسمّمةً ينبوع روحي. تحوّلت الليالي التي لا تنام، التي كانت يومًا ما إيقاعًا مألوفًا للمدينة، ورفيقًا هادئًا لطموحي، إلى عذابٍ لا هوادة فيه، وتذكيرٍ قاسٍ وطاحنٍ بأن عقلي، حتى وهو مُنهكٌ تمامًا، يرفض أن يمنحني السلام. كان مونولوجًا داخليًا مُستمرًا من الندم والقلق، وتكرارًا لا هوادة فيه لأخطاء الماضي وإخفاقاتٍ مُتخيّلة، كلُّ فكرةٍ تُمثّل شوكةً حادةً تتوغل في أعماق وعيي. أصبح عجزي عن التركيز على PenX، المشروع الذي راهنت عليه بمستقبلي، منارة بدايتي الجديدة، عرضًا صارخًا لا يمكن إنكاره لمرض أعمق. الأفكار التي كانت تتدفق بحرية، والمفاهيم التي كانت تشعل شغفي، شعرت الآن بالبطء، وإبداعي مخنق بيد خفية، وضباب ذهني كثيف جعل الابتكار يبدو مستحيلًا، مثل محاولة النحت بأصابع مخدرة. طلبات التوظيف، التي أُرسلت بالتوازي كنسخة احتياطية عملية، قوبلت برفض مستمر، كل منها لسعة جديدة، تأكيد على عدم الكفاءة، يعزز همسات الشك الذاتي الخبيثة التي كانت كامنة دائمًا تحت السطح، والتي تضخمت الآن إلى هدير. ثم، كان هناك الصمت في حياتي العاطفية، قرار واعٍ ومتعمد بالانغلاق، لبناء جدران منيعة حول قلبي، مرعوبًا من تكرار الألم الحارق لخيانة فريزة، أو الأسوأ من ذلك، إلحاق الألم العميق الذي سببته لروان. في هذا التقاء خانق من الإحباط المهني والعزلة الشخصية والاضطراب الداخلي المستمر، ضربني الإدراك الكامل والساحق بقوة ضربة جسدية: لم أكن أبني شركة فحسب؛ بل كنت بحاجة ماسة وجوهرية إلى الشفاء. لم يكن هذا فهمًا تدريجيًا، أو فجرًا بطيئًا تسلل إليّ؛ بل كان وميضًا مفاجئًا ومبهرًا من البصيرة، وُلد من الإرهاق الشديد العميق الناجم عن خوض معارك غير مرئية، والمصارعة مع الأشباح في الظلام، لحظة من الوضوح الصارخ الذي لا يمكن إنكاره. لم يكن الثقل على ظهري، الذي هدد بتفتيت عمودي الفقري، مجرد عبء ريادة الأعمال؛ كان الثقل التراكمي الساحق لكل جرح لم يُعالَج، وكل ندم غير معلن، وكل صراع لم يُحل، وكل شيطان من ماضي، كل ذلك يضغط عليّ في وقت واحد، ويهدد بإنهياري تمامًا.

جلب هذا الإدراك العميق معه ثقلًا هائلًا يكاد لا يُطاق لـ"دينٍ غير مُسدد". لم يكن هذا الدين متعلقًا بروان فحسب، مع أن غيابها، وشعوري بالذنب تجاه أفعالي تجاهها، والفراغ العميق الذي تركته، شكل جزءًا كبيرًا منه، ووجعًا لا يُطاق، ونبضًا مستمرًا في ضميري، وجرحًا لا ينضب. لا، بل شمل هذا الدين كل شيء منذ طفولتي – الإهمال العاطفي، والاكتفاء الذاتي القسري الذي حوّلني إلى شخصٍ منعزل، ووهم العائلة الذي تحطم بسهولة، وتركني تائهًا – حتى يومنا هذا. كان حصيلة كل ألمٍ دفنته، وكل شعورٍ قمعته، وكل خيانةٍ استوعبتها دون معالجة، ودون حزنٍ حقيقي، ودون أن أسمح لنفسي بالشعور بالضعف. أدركتُ بوضوحٍ مُرعب أن حياتي كانت معركةً مستمرةً لا هوادة فيها، حربًا خفيةً تُشن يوميًا ضد هذه الشياطين الداخلية، صراعًا مستمرًا من أجل البقاء ضد نفسي. قضيتُ، حرفيًا، ربع يومي، كل يوم،

منخرطًا في هذا الصراع الخفي، أصارع ذكرياتٍ تأبى أن تتلاشى، وندمًا يتلوى في أحشائي كداءٍ جسدي، ومخاوفَ تُخْرِجُ عقلي، رافضةً أن تبقى مدفونةً، تطفو على السطح باستمرار. تجلّت هذه المخاوف كأفكارٍ اقتحاميةٍ تخطف تركيزي في أسوأ اللحظات، وموجاتٍ مفاجئةٍ من القلق تُرهقني وتُشتت انتباهي، وشعورًا مُتجذرًا بعدم الجدارة يُقوّض كل انتصارٍ صغير، وكل بصيص أمل. كان هذا "الدين غير المُسَدّد" هو الفائدة العاطفية المُتراكمة على سنواتٍ من الصدمات التي لم تُعالَج، وعبءٍ نفسيٍّ أثقل من أي التزامٍ مالي، وإفلاسٍ روحيٍّ تركني أشعر بالفراغ، والفراغ، والاستنزاف الدائم. كان هذا هو الثمن النهائي لكوني "صلبًا وقويًا"، درعًا فرضته على نفسي، والذي أصبح في النهاية سجنًا، يُحاصرني في ألمي، ويعزلني عن كل الصلات التي كنتُ أتوق إليها.

في مواجهة هذه الضرورة الملحة للشفاء، هذه الحقيقة التي لا يمكن إنكارها والتي صرخت من كل ألياف كياني، مطالبة بالاهتمام، كان رد فعلي الأولي، بشكل مأساوي،لا أحدلم تكن هناك محاولات واعية لطلب مساعدة مهنية، ولا تواصل مع معالجين أو مستشارين قد يقدمون لي طريقًا للخروج من متاهة عقلي، ولا اعتراف بأنني لا أستطيع اجتياز هذا الأمر بمفردي. لم يكن هناك انخراط منظم في التأمل الذاتي، ولا تدوين يوميات للتعبير عن الفوضى العارمة في داخلي، ولا تأمل متعمد لتهدئة العاصفة. لم يكن هناك استكشاف لآليات تكيف جديدة، ولا بحث عن طرق بديلة لإيجاد العزاء أو التحرر، ولا فضول بشأن سبل أكثر صحة. وبالتأكيد، لم أعود إلى الطرق القديمة بعقلية متجددة وشافية؛ لقد خذلوني بالفعل، وأثبتوا عدم كفاءتهم. بدت فكرة "الشفاء" النشط في حد ذاتها مجردة للغاية، ومرعبة للغاية، وبعيدة جدًا عن المتطلبات الفورية والملموسة والمستمرة لبناء PenX، والذي بدا وكأنه الشيء الملموس الوحيد الذي يمكنني التحكم فيه. كان صراعي الداخلي شديدًا للغاية، وعدد الشياطين في حياتي لا يُحصى، متجذرًا بعمق، وماكرًا، لدرجة أن فكرة مواجهتها بشكل منهجي بدت مهمة مستحيلة، رحلة بلا نهاية، هاوية ألم لا قاع لها لا مفر منها. كان شيئًا أدركته، فكريًا، أنني سأحمله معي لفترة طويلة، ربما إلى الأبد، ثباتًا دائمًا لا مفر منه في مشهدي الداخلي، حالة مزمنة في الروح. إن ضخامة المهمة، والخوف العميق مما قد تطلقه مواجهة هذه القضايا المدفونة بعمق – سيل من الألم، وتفكك كامل – أبقاني مشلولًا، متشبثًا بالمألوف، مهما كان مؤلمًا، بدلاً من المغامرة في أرض التعافي العاطفي الحقيقي المرعبة والمجهولة.

هذا هو المكان الذي يدخل فيه PenX السرد، ليس فقط كعمل تجاري، أو خطوة منطقية تالية في مسيرتي المهنية، ولكن كعلاج يائس وفريد، وملجأي الأخير، ومقامرتي النهائية للخلاص. أنا أعتمد على PenX لإصلاح حياتي، ليكون الحل النهائي لاضطراباتي الداخلية، ومشروعًا كبيرًا وشاملًا للخلاص الذاتي، ونصبًا تذكاريًا لمرونتي. إنه فعل تحدي ضد الفوضى، ودليل ملموس على أنني أستطيع بناء شيء ذي معنى، شيء يجسد قيم النزاهة والاتصال التي كانت غائبة بشكل واضح في ماضي، وهو نقيض مباشر للسمية التي تحملتها. إن فلسفة PenX، جوهرها، ومبادئها التوجيهية، تتشكل من خلال جروحي، من خلال الدروس المستفادة من بوتقة معاناتي، وهي شهادة على القوة التحويلية للألم. إنه جهد واعي، بل هوس تقريبًا، لخلق بيئة لا تتكرر فيها أخطاء Forcivate، حيث يُقدّر الناس،

وتسود فيها الشفافية، ويكون التعاطف هو الأساس، وحيث يمكن لثقافة صحية داعمة أن تزدهر حقًا. إنه أمل يائس بأنني، من خلال بناء شيء جيد للآخرين، وإحداث تأثير إيجابي في العالم، وتقديم ما لم أحصل عليه قط، قد أتمكن بدوري من شفاء نفسي، وأجد هدفًا وسلامًا من خلال الإبداع، ثورة داخلية هادئة. إن طبيعة ريادة الأعمال المتطلبة، والعمل الجاد بلا هوادة، وحل المشكلات المستمر، والساعات التي لا تنتهي – هذه ليست مجرد تحديات مهنية؛ إنها شكل من أشكال العلاج الذاتي، وطريقة لتوجيه طاقتي المضطربة، وملء كل لحظة من يقظتي، واستنزاف نفسي في ما يشبه السلام، وتجنب اللحظات الهادئة والخطيرة حيث تتصارع شياطين الماضي لجذب الانتباه، مهددة بالسيطرة عليّ. يصبح حجم العمل الهائل درعًا، وتشتيتًا، وراحة مؤقتة، وهمسًا مستمرًا يطغى على صرخات داخلي.

ومع ذلك، يظل الصراع الداخلي حيًا للغاية، حمى خفيفة مستمرة لا تنقطع أبدًا، حالة مزمنة في الروح. عدد الشياطين في حياتي لا يُحصى، كل واحد منهم يمثل ألمًا ماضيًا، ندمًا، خوفًا، لحظة ضعف عميق، ظلًا يطارد كل خطوة. إنها معركة مستمرة ومرهقة في ذهني، صراع لا هوادة فيه بين الرغبة اليائسة في السلام وأنماط الحفاظ على الذات المتأصلة من خلال القمع العاطفي. هذا الصراع شيء أفهمه، فكريًا، وسأحمله معي لفترة طويلة، ربما لبقية حياتي. إنه ليس صراعًا أتوقع الفوز فيه نهائيًا، أو تحقيق نصر نهائي منتصر، أو إبعاد كل الظلال، بل يجب أن أواصل خوضه، يومًا بعد يوم، لأن البديل هو الاستسلام، والانهيار التام في الهاوية.

وهكذا، تصبح "مدينة الأرق" القاهرة أكثر من مجرد خلفية؛ إنها استعارة عميقة وحية لحالتي الداخلية، مرآة تعكس روحي القلقة. قلة نومي ليست مجرد عرض للتوتر أو عادة سيئة؛ بل هي تذكير دائم ومزعج بالقضايا التي لم تُعالج والتي تؤرقني، تجسيد ملموس لروحي التي لم تُشفَ، ألم مزمن يرفض أن يهدأ. إنها مساحة للتأمل الدؤوب، وغير المُثمر في كثير من الأحيان، حيث تُخاض معاركي مع شياطيني من جديد كل ليلة، حيث يمتزج الماضي بالحاضر في واقع مُعذب لا مفر منه. قلة النوم هي نتيجة لجروحي التي لم تُشفَ، وهي في الوقت نفسه استمرار لهذه الدورة، مما يجعلني منهكًا دائمًا، ومتوترًا دائمًا، وعاجزًا دائمًا في دوامة من الألم والندم. إنه مظهر صارخ ومادي لضرورة الشفاء، صوت مستمر ومزعج يرفض الصمت، يردد صدى الدين العميق غير المسدد الذي لا يزال يثقل كاهلي. هذه الرحلة، هذا الكتاب، هي محاولتي لمواجهة هذه الظلال أخيرًا، وفهمها، والتعبير عن الألم، وإعطاء صوت لما لا يُقال، وربما، يومًا ما، لإيجاد قدر من السلام في المدينة التي لا تنام حقًا، سلام ينبع من الداخل، وليس من عوامل التشتيت الخارجية أو الحلول المؤقتة. إنه عمل يائس ومفعم بالأمل لاكتشاف الذات، وشهادة على قدرة الروح البشرية الدائمة على الصمود وسعيها الدؤوب للشفاء، حتى عندما يكون الطريق طويلًا ومحفوفًا بالمعارك الخفية، رحلة نحو بصيص ضوء في الأفق البعيد.

إن ضرورة الشفاء، تلك الحقيقة التي غمرتني كموجة عاتية، لم تكن مجرد إدراك سلبي؛ بل تطلبت فعلًا. وكانت الخطوة الأولى والأهم، تلك التي طاردتني منذ لحظة إغفالها، هي الاعتذار. كان هذا ما...يجبما فعلته في اليوم التالي لحادثة الشعار، بعد أن حطمت كلماتي، التي أججها الذعر وصدمة الماضي، الثقة الهشة بيني وبين روان. لم يكن هذا دافعًا مفاجئًا وعفويًا، بل كان تتويجًا لشهور من الندم المؤلم،

وليالٍ بلا نوم قضيتها في إعادة إحياء ألمها، وثقل "الدين غير المسدد" الذي ازداد ثقلًا يومًا بعد يوم. إدراكي أنني كنت أُغلق حياتي العاطفية، وأن عجزي عن التركيز على PenX مرتبطٌ ارتباطًا مباشرًا بهذا الألم الذي لم يُحل، وأن كل رفض وظيفة كان بمثابة عقاب كوني على أفعالي السابقة، كل ذلك تلاقى في حقيقة واحدة لا يمكن إنكارها: كان عليّ الاعتذار. كانت هذه هي الطريقة الوحيدة للبدء في تقليص ما أصبحت عليه، والاعتراف بالجرح العميق الذي سببته، واتخاذ خطوة ملموسة نحو الشفاء الذي كنت أتوق إليه بشدة.كيفظلّ هذا الاعتذار، وكلماته المحددة، ورد فعل روان عليه، مجهولاً، يكتنفه غموض انقطاع الصلة. لكن القرار نفسه كان قراراً جسيماً، خياراً واعياً لمواجهة جزء من ماضيّ كان مؤلماً للغاية، سعياً يائساً للخلاص في وجه إخفاقاتي العميقة. كانت الخطوة الأولى المرعبة على طريق طويل وشاق نحو تصفية حساباتي مع ماضيّ، وربما إيجاد قدر من السلام الداخلي. لم يكن الأمر يتعلق بطلب المغفرة منها، ليس تماماً، بل بالبحث عن خلاص لنفسي، وسيلة لتخفيف العبء الثقيل الذي أحمله. كان إدراكاً بأن الشفاء الحقيقي لا يمكن أن يبدأ إلا بمواجهة عواقب أفعالي، مهما كانت تلك المواجهة مؤلمة. لم يكن الاعتذار ضماناً للمصالحة، بل كان فعلاً ضرورياً لتحرير الذات، محاولة يائسة للتحرر من قيود ندمي وأصداء ماضيّ المزعجة. كان وعدًا صامتًا على نفسي، عهدًا بمواجهة الشياطين وجهًا لوجه، بدءًا من أحدثها وأكثرها إيلامًا. في تلك اللحظة، اخترتُ التوقف عن الركض، والالتفاف لمواجهة مصدر عذابي، حتى لو كان ذلك يعني إعادة فتح جراح قديمة. بدت الشجاعة اللازمة لهذا الفعل هائلة، قوة لم أكن أعلم أنني أمتلكها، وُلدت من إرهاقٍ شديدٍ من حمل عبء ذنبي الضمني. كان إعلان حرب على أنماطي التدميرية الذاتية، وتوسلًا يائسًا لمستقبل مختلف. أصبح الاعتذار، في جوهره، منارة أمل، ووعدًا هشًا بأن الشفاء، مهما كان بعيدًا، ممكنٌ حقًا.

الفصل الثاني عشر: البناء على الأرض المتداعية

لقد صدمتني ضرورة الشفاء، حقيقة لا يمكن إنكارها، وتتطلب العمل. ومع ذلك، لم يكن طريق الخلاص طريقًا ممهدًا أو ممهدًا؛ بل كان مشهدًا غادرًا، ووجدت نفسي أحاول بناء مستقبلي، PenX، على ما بدا وكأنه أرض متداعية. لم يكن هذا الاستعارة مجرد شعرية؛ بل كان واقعًا يوميًا غريزيًا يتخلل كل جانب من جوانب وجودي، من أول فكرة واعية في الصباح إلى آخر لحظة مضطربة قبل الفجر. شعرت وكأنني أبني PenX في منطقة نشطة زلزاليًا، رجفة مستمرة تحت قدمي، اهتزاز مقلق، يكاد يكون غير محسوس يتسرب إلى عظامي، يهز جوهرى ويزعزع روحي. لم أشعر بالأمان، ليس حقًا، ليس بالطريقة التي يشعر بها المرء بالأمان على أرض صلبة، ذات أساس متين تحتها. كان هناك قلقٌ مُسيطرٌ عليّ، مُزعجٌ، من أن يُصيبني في أي لحظةٍ أمرٌ خفيٌّ وغير مُتوقع، وأن الأرضَ تحت قدميّ ستنهار، وتنشقّ لتبتلع جهودي كاملةً، جارّةً أحلامي الوليدة إلى هاوية الفشل. لم أثق بالأساس الذي أستند إليه، وهو انعكاسٌ مباشرٌ ومؤلمٌ لعدم الاستقرار الداخلي العميق الذي أحدثته ليالٍ لا تُحصى من الأرق، وظلالٌ مُتبقيةٌ من صدماتٍ ماضيةٍ تُحيط بي كالكفن، وثقلٌ مُستمرٌّ لـ"ديوني غير المُسددة" – عبءٌ من الذنب والندم لم يُخفّف يومًا. كلُّ سطرٍ من التعليمات البرمجية كتبتُه بدقة، وكلُّ قرارٍ استراتيجيٍّ اتخذتُه بشقِّ الأنفس، وكلُّ محاولةٍ للتواصل مع شركاء أو مُستخدمين مُحتملين، شعرتُ بهشاشةٍ مُفاجئة، كما لو أن هزةً مفاجئةً وغير مُتوقعةٍ قد تُدمّر كلَّ شيء، مُحوّلةً شهورًا من الجهد المُضني إلى رماد. تجلّت هذه الارتعاشة الداخلية مباشرةً في عملي، مُؤديةً إلى لحظات من الشكّ الشديد بالنفس الذي شلّني، وفتراتٍ كان التركيز فيها مُراوغًا، يتسرب من بين أصابعي كالرمال، ومعركةٍ مُضنيةٍ مُستمرةٍ ضدّ رغبة التراجع، والتوقف عن البناء، والاستسلام للضغط الهائل الذي كاد يُهلكني. ومع ذلك، ورغم هذا الشعور العميق بعدم الأمان، وهذا التهديد المُستمر بالانهيار، كنتُ أُنشئ PenX، مدفوعًا بإيمانٍ يائسٍ لا يتزعزع بإمكانياته، وإيمانٍ راسخٍ بأنه طريقي الوحيد للمضي قدمًا، وفرصتي الوحيدة للخلاص الحقيقي، وأملي الأخير في إعادة بناء حياةٍ على أرضٍ أكثر استقرارًا.

إلى جانب الهزات الداخلية المتواصلة، كانت التحديات الخارجية لبناء PenX هائلة، وتفاقمت بفعل شبح انهيار Forcivate وواقع عالم ريادة الأعمال القاسي الذي لا يرحم. كانت العقبة الأكثر إلحاحًا وإلحاحًا هي الميزانية المحدودة للغاية، وهو قيد خانق دائم يُملي كل خطوة. كان كل قرش يُدقق فيه باهتمام شبه مهووس، وكل نفقات تُوازن مقابل ضرورتها المطلقة، في تفاوض دائم مع الندرة التي تُبقيني في حالة توتر دائم. لم يكن الأمر يتعلق فقط بالحكمة المالية؛ بل كان يتعلق بالبقاء، وباستنزاف الموارد الشحيحة لتغطية تكاليف التطوير الأساسية، وجهود التسويق البدائية التي بدت وكأنها صرخة في الفراغ، والنفقات غير المتوقعة التي تُثقل كاهل أي شركة ناشئة، وخاصةً تلك التي تعمل بميزانية محدودة. كان ذلك يعني ساعات لا تُحصى من التعليم الذاتي، ودراسة الدروس التعليمية والوثائق عبر الإنترنت حتى وقت متأخر من الليل، والقيام بمهام بنفسي، بينما تُفوضها شركات أكبر وأكثر تمويلًا لفرق كاملة. كان ذلك يعني الاكتفاء بالقليل، والابتكار المستمر بأدوات محدودة، والتضحية بالراحة الشخصية والنوم والحياة الاجتماعية في سبيل المشروع. وفاقم من ذلك

افتقاري العميق للخبرة المباشرة في عالم ريادة الأعمال، الذي غالبًا ما يكون قاسيا ودقيقا. كانت خلفيتي في مجال الذكاء الاصطناعي، في بيئات مؤسسية منظمة وقابلة للتنبؤ، وليس في عالم إطلاق المشاريع من الصفر الفوضوي وغير المتوقع، حيث يحمل كل يوم عقبة جديدة غير متوقعة، ويبدو أن كل حل يولد مشكلتين إضافيتين. كان كل قرار أتخذه أشبه بمقامرة ذات مخاطر عالية للغاية، وكل خطوة بمثابة قفزة عمياء نحو المجهول، دون دليل إرشادي ثابت، ودون مرشد خبير يرشدني في طريقي عبر المتاهة. ولعل التحدي الأكثر عزلة كان غياب المؤسسين المشاركين المثيرين للاهتمام. كانت رؤية PenX شخصية للغاية، نابعة من ألمي ورغبتي في طريق أفضل، وكان العثور على آخرين يتناغمون مع هذه الرؤية، ويمتلكون مهارات متكاملة ومستوى مماثل من التفاني والمرونة والإيمان، أمرًا بالغ الصعوبة. إن طبيعة عملي البعيدة، وميلي المتأصل لإبعاد الناس – وهي آلية دفاعية راسخة في داخلي ضد آلام الماضي والخيانة المحتملة – فاقمت هذا الشعور العميق بالعزلة، مما جعل التعاون الحقيقي يبدو حلمًا مستحيلًا، ورفاهية لا أستطيع تحملها. ومع ذلك، ورغم هذه العوائق الهائلة، ورغم الشعور الدائم بالوحدة في مواجهة العالم، كنت أعمل بنشاط على تحسين علاقاتي، أحضر فعاليات افتراضية، وأتواصل مع معارفي، وأبحث جاهدًا عن الشركاء المناسبين لمشاركة هذا العبء الهائل، وتحقيق أقصى إمكانات PenX التحويلية.

وسط هذه التحديات الهائلة، الداخلية والخارجية، ووسط تهديد الانهيار الدائم الذي يخيم على كل جهد، كانت هناك انتصارات صغيرة، لكنها مهمة، كانت بمثابة مراسي حيوية، منعتني من الانجراف في تيار اليأس المتواصل. إحدى هذه اللحظات كانت عندما وصلنا إلى أكثر من 100 مؤيد على لينكدإن. لم يكن هذا انفجارًا فيروسيًا سيدفعنا إلى الواجهة، ولا جولة تمويل ضخمة ستحل جميع مشاكلي المالية بين عشية وضحاها، بل كان علامة ملموسة على تصديق خارجي، ومضة ضوء في الظلام الدامس. كل "إعجاب"، كل "مشاركة"، كل متابع جديد كان تأكيدًا صغيرًا على أن رؤيتي لاقت صدى لدى الآخرين، وأن هناك حاجة حقيقية لما أبنيه، وأن جهودي لم تكن بلا جدوى. كان بمثابة سردية مضادة قوية للشك الذاتي المستمر الذي اجتاح عقلي، همسة أمل هادئة شقت طريقها وسط ضجيج القلق، ودفعتني للمضي قدمًا، خطوة بخطوة، مهما كانت صغيرة. هذه الانتصارات الصغيرة، وإن بدت تافهة في ظاهرها، إلا أنها كانت بمثابة دفعات نفسية حاسمة، زودتني بما يكفي من الوقود لإبقاء المحرك يعمل، مذكّرةً إياي بأن الجهد لم يذهب سدىً تمامًا، وأن الأرض المتداعية قد تحمل في الواقع شيئًا متينًا ودائمًا تحت سطحها المتحرك، صخرةً خفيةً من الإمكانيات. كانت بمثابة منارات صغيرة، ترشدني عبر ضباب عدم اليقين الكثيف الخانق.

كان بناء PenX بحد ذاته غارقًا في ازدواجية عميقة، تكاد تكون مؤلمة، مفارقة داخلية مستمرة تُميّز كل لحظة من لحظات يقظتي. شعرتُ بالوحدة، شعورًا عميقًا، عزلة تضخمت بسبب جراحي الماضية وكثافة مهمتي الحالية المُستهلِكة. كانت هناك لحظات من الضعف الشديد، حيث هددني ثقل "الدين غير المُسدد" وصدمات الخيانات الماضية المُتردّدة بأن يُسيطرا عليّ تمامًا، تاركين إياي أشعر بالانكشاف

والهشاشة والانكسار التام، على حافة الانهيار. كانت الرغبة في الاختباء والاختفاء، والتوقف عن الوجود، هائلة، كصوت صفارات الإنذار المُستمر. ومع ذلك، في الوقت نفسه، شعرتُ وكأنني صخرة، قوة صلبة لا تلين تدفع بعيدًا كل من يجرؤ على الاقتراب أكثر من اللازم، آلية دفاعية شحذتها سنوات من الحفاظ على الذات، درع يحميني من المزيد من الألم، حصنٌ بُني حول قلبٍ جريح. كانت هذه المفارقة مصدرًا دائمًا للتوتر الداخلي: التوق الشديد للتواصل والدعم، لشخص يُشاركني العبء، لشريك حقيقي في هذه الرحلة الشاقة، في مواجهة خوفٍ متأصل، يكاد يكون غريزيًا، من التعرض للأذى مجددًا، من الخيانة، من تحطيم ثقتي الهشة مجددًا. كان الأمر صراعًا متواصلًا، صراعًا مستمرًا بين الانفتاح والانغلاق، مما جعل التعاون الحقيقي والألفة العاطفية أمرًا بالغ الصعوبة، حتى مع أولئك الذين رغبوا بصدق في المساعدة. كانت هذه الثنائية جوهر البناء على أرضٍ متداعية – الأمل اليائس في مستقبلٍ مستقرٍّ ومزدهر، تبنيه ذاتٌ لا تزال مُمزقة بعمق، ومُحصّنة، ومُهددةٌ دائمًا، منزلٌ منقسمٌ على نفسه.

كانت "الأرض المنهارة"، في الواقع، مجازية تمامًا، مشهدًا حيًا ومؤلمًا لعالمي الداخلي. لم يكن الأمر يتعلق بعدم استقرار القاهرة المادي، مع أن المدينة نفسها غالبًا ما بدت فوضوية وغير متوقعة، أو بهشاشة وضعي المعيشي؛ بل كان يتعلق بعدم الاستقرار الداخلي العميق، والهزات النفسية التي هددت باستمرار بتقويض جهودي، وزعزعة عزيمتي حتى النخاع، ودفعي إلى دوامة اليأس. كان إرث طفولة قضيتها أواجه الغياب العاطفي والاعتماد القسري على الذات، وندوب خيانة فريزة المتقيحة، وجرح رحيل روان الطازج والمؤلم، والقلق الدائم والمؤرق من بناء مستقبل على أساس من ألم لم يُحل، أساس مليء بالشقوق والصدوع. هذا المشهد الداخلي، المليء بالصدوع والمعرض للتحولات المفاجئة والعنيفة، جعل كل خطوة للأمام تبدو وكأنها محاولة موازنة هشة، كمشية على حبل مشدود فوق هاوية، بلا شبكة أمان. كان ذلك دليلاً على الإرادة الصلبة والعنيدة اللازمة لمواصلة البناء، لمواصلة الإيمان في وجه الصعاب الساحقة، حتى عندما شعرتُ أن الأرض تحتي قد تنهار في أي لحظة، فتُغرقني من جديد في الظلام. لم تكن PenX مجرد شركة؛ بل كانت محاولتي اليائسة والمُضنية لتثبيت هذا الزلزال الداخلي، ولبناء أساس جديد لا يتزعزع لنفسي، لبنة تلو الأخرى، نصبًا تذكاريًا للصمود بُني من أنقاض ماضيّ. كان ذلك عملاً جريئًا من أعمال الشفاء الذاتي، وشهادة على قدرة الروح البشرية الدائمة على إيجاد هدف وبناء جديد، حتى عندما بدا العالم من حولي ومن داخلي وكأنه ينهار.

الجزء الرابع: المرونة والطريق المفتوح

الفصل 13: العيش مع الأصداء

انقشع غبار انهيار Forcivate، وتلاشت صدمة رحيل روان المباشرة، لكن الماضي لم يصمت. لم يعد يصرخ، لا بألم الخيانة الجديدة الحادّ والثاقب، ولا بألم الإذلال العلني المفاجئ والمُفجع الذي تركني ألهث لالتقاط أنفاسي. بل أصبح يطنّ، ترددًا منخفضًا ومستمرًا تحت سطح وعيي، اهتزازًا مستمرًا يكاد يكاد يتلاشى، يتخلل كل لحظة يقظة، كل فكرة هادئة، كل نفس مُجبر. كانت هذه أصداء، انعكاسات باقية لصدمة فريزة العميقة، وثقة روان المُحطمة، ونهاية Forcivate الكارثية. لم تتجلى كأفكار عابرة يُمكن تجاهلها بحركة يد، بل كنبض مستمرّ خافت خلف عينيّ – صداع مُستمرّ يلتهمني كل يوم، وضغط لا يلين خلف صدغيّ، وتجلٍّ جسديّ للحرب النفسية التي أخوضها بلا هوادة في داخلي. كانت بمثابة ضجيجٍ في خلفية وجودي، مستمرٍّ وخبيث، يستنزف طاقتي، ويشوّش على حكمي، ويجعل الوضوح ترفًا نادرًا، ويصبغ كل فكرة، وكل قرار، وكل تفاعل بمسحة من الكآبة والشك. حتى في لحظات الهدوء، في ما يُفترض أنه ملاذي الخاص، كانت الأصداء موجودة، حضورٌ خفيٌّ لا يُنكر، تذكيرٌ دائمٌ وغير مرغوب فيه بالجروح التي لم تُشفَ والتي استمرت في التفاقم تحت السطح، رافضةً أن تُصبح ندبةً، نافرةً ومكشوفةً على الدوام. هذا الهمهمة الداخلية المستمرة جعلت الاسترخاء الحقيقي مستحيلًا، وعقلي دائمًا في حالة تأهب، يترقب الهزة التالية.

بقي "الدين غير المسدد"، عبئًا ثقيلًا لا يلين، أحمله معي، ليس مجازيًا فحسب، بل جسديًا تقريبًا، ثقلًا يضغط على كتفي، ويستقر عميقًا في صدري، ويخنق أنفاسي. لم يكن ألمًا حادًا مفردًا يمكن تحديد موضعه وعلاجه بعلاج بسيط، بل مزيجًا معقدًا خانقًا من الندم وإحساس عميق ومؤلم بالنقص. لم أعد مجرد "الجزار" في روايتي، مع أن ذلك اللوم الذاتي لا يزال يخيم عليّ كطعم مرير، واتهام دائم ومزعج في زوايا عقلي الهادئة؛ كنت أيضًا من يشعر بالانكسار الجذري، وكأنه ليس كاملًا على الدوام، كما لو أن جزءًا حيويًا من كياني قد انتُزع بلا رجعة، تاركًا فراغًا هائلًا. تغلغل هذا الشعور في حياتي اليومية، متسللًا إلى تفاصيل الحياة اليومية، جاعلًا حتى أبسط المهام تبدو شاقة. كان ذلك في لحظات الوحدة، عندما أصبح صمت شقتي صاخبًا للغاية، ممتلئًا بأشباح ما كان يمكن أن يكون، بمحادثات لم تنتهِ أبدًا، بثقة لم تُبنَ أبدًا، بمستقبل تبخر. كان ذلك في لمحات السعادة العابرة، عندما أشعر أن نجاحًا صغيرًا مع PenX أو لحظة نادرة مع صديق قد تلوثت بظل أفعالي الماضية، تذكيرًا بأن فرحتي كانت ناقصة، وزائلة، وربما غير مستحقة. لم يكن هذا النقص شيئًا يمكنني تجاهله ببساطة أو دفعه جانبًا بقوة الإرادة؛ كان فراغًا دائمًا، مؤلمًا، قطعة من روحي شعرت أنها ضاعت بلا رجعة، دين تراكم الفائدة على عملة

سلامي الخاص، يستنزف بلا هوادة احتياطياتي العاطفية، ويتركني مستنفدة إلى الأبد. كان الندم طعمًا مرًا في فمي، نكهة معدنية ثابتة، تذكيرًا دائمًا بالخيارات التي اتخذتها، والكلمات القاسية التي نطقت بها، والثقة الثمينة التي كسرتها بلا مبالاة.

في هذا المشهد القاحل من الأصداء المستمرة والديون غير المسددة، ظل PenX آليتي الوحيدة اليائسة للتكيف، طريقي المختار، وإن كان شاقًا، للشفاء. لم يكن مجرد عمل؛ لقد كان معركتي، صيدي، والسبب نفسه الذي جعلني أستمر في المضي قدمًا رغم النزيف الداخلي، ورغم الألم المستمر الذي هدد باستهلاكي. كان PenX، ولا يزال، علاجي، والمشروع العظيم الذي أعتمد عليه لإصلاح حياتي، وترميم الأجزاء المكسورة من روحي، ولإثبات لنفسي أنني أستطيع خلق شيء جيد من الحطام، شيء يتجاوز إخفاقاتي الماضية. أنا ذئب جريح وحيد، أقول لنفسي، مخلوق مدفوع بالغريزة والضرورة، مجبر على التكيف، والبقاء على قيد الحياة. ويجب على الذئب الجريح أن يصطاد من أجل العيش، والبقاء على قيد الحياة، وإيجاد مكانه في العالم، ونحت أرضه الخاصة. وأنا كذلك. لم تكن المطالب المستمرة لبناء شركة ناشئة من الصفر، وحل المشكلات المستمر الذي التهم ساعات يقظتي، وليالي العمل التي لا تنتهي – هذه ليست مجرد تحديات مهنية؛ بل كانت شكلاً عميقًا من العلاج الذاتي، وطريقة يائسة لتوجيه طاقتي المضطربة، وملء كل لحظة يقظة بالغرض، واستنزاف نفسي في مظهر من مظاهر السلام، وراحة مؤقتة من الصخب الداخلي الذي هدد بخلاف ذلك بصمتي. أثر نجاح أو صراعات PenX بشكل مباشر على هذه الأصداء. لقد قدم انتصار صغير، مثل الوصول إلى 100 معجب على LinkedIn، راحة عابرة، وتأكيدًا هادئًا على أن جهودي لم تكن عقيمة تمامًا، وأن الأرض قد لا تنهار بسرعة كبيرة تحت قدمي. كانت لحظة وجيزة حيث سينحسر ضجيج الماضي، ويحل محله شعور هش بالإنجاز. لكن النكسة، الرفض، لحظة الشك، من شأنها أن تضخم الأصداء، مما يجعل الصداع ينبض بقوة أكبر، والندم يشعرني بثقل أكبر، وعدم الاكتمال أكثر عمقا، ويهددني بسحبي مرة أخرى إلى هاوية اليأس.

كان هناك قبول متزايد ومضطرب بأن هذه الأصداء قد تكون جزءًا دائمًا مني، بدلًا من أن تكون شيئًا يمكن التخلص منه تمامًا أو نفيه تمامًا. لم يعد الصراع يدور حول الاستئصال التام، أو مسح الماضي تمامًا كما لو لم يكن؛ بل كان حول إيجاد مستوى من التطبيع، طريقة للتعايش معها، ودمجها في نسيج وجودي دون أن أستهلكها، دون أن أسمح لها بالتحكم في كل حركة من حركاتي.أنا أتقبل وجوده وأحاول تطبيعه،أقول لنفسي، عبارة صامتة تتكرر في الظلام، في اللحظات الهادئة قبل الفجر،ولكن على أي مستوى؟هذا السؤال هو الحدود الجديدة لمعركتي الداخلية، تفاوضٌ مُستمرٌ ومؤلمٌ مع حدودي. ما مقدار الألم الذي يُمكنني دمجه في حياتي اليومية دون أن أُصاب بالشلل، دون أن أفقد شغفي؟ ما مقدار الندم الذي يُمكنني تحمّله دون أن أُسحق تحت وطأته، دون أن أستسلم لليأس؟ إنه توازنٌ دقيقٌ وهش، تفاوضٌ مُستمرٌ مع ماضيّ، مشيٌّ على حبلٍ مشدودٍ بين القبول واليأس، بين المضي قدمًا والتراجع. لكن هذا القبول لا يُخفف من وطأة الصراع، بل يُحوّل طبيعته فحسب، من صراعٍ يائسٍ من أجل المحو التام إلى جهدٍ أكثر دقةً ومؤلمةً لإيجاد سلامٍ مستدام.مع الأصداء، وليس بدونها، سلام يعترف بالندوب لكنه يرفض أن يتم تعريفه بها فقط، سلام يسمح بالنمو على الرغم من الجروح.

كان لهذا المشهد الداخلي، المُثقل بالأصداء والألم المُهمَل، أثرٌ عميقٌ على حياتي الخارجية، وخاصةً على آفاقي العاطفية. كان القرار واضحًا، محفورًا في كياني: لا علاقة عاطفية جديدة في المستقبل القريب. ميلي لأن أكون "صخرة"، وأن أدفع الناس بعيدًا كآلية دفاع، كدرعٍ فرضته على نفسي ضد الضعف، تضخم الآن بسبب الخوف من إلحاق الألم، ومن تكرار دورة الأذى التي مررتُ بها، والتي تسببتُ بها، والأشد إيلامًا. كيف لي أن أدعو شخصًا جديدًا إلى حياةٍ غارقةٍ في ظلال الماضي، مُثقلةً بدينٍ غير مُسددٍ يُثقل ضميري؟ بدت الفكرة غير مسؤولة، وغير عادلةٍ تجاه كل من يجرؤ على الاقتراب، والمخاطرة بسلامه بالدخول إلى عالمي المُضطرب، عالمٍ لا يزال عُرضةً للزلازل. قلبي، الذي لا يزال مُحطمًا، لا يزال مُحصّنًا، لم يكن مُستعدًا ببساطةٍ للثقة مُجددًا، وللتعرض للخطر، وللمُخاطرة بتصادمٍ مُدمرٍ آخر قد يُحطم ما تبقى من سلامٍ تمكنتُ من بنائه. كانت الجدران التي بنيتها حول نفسي أعلى وأكثر سمكًا من أي وقت مضى، وهي شهادة على عمق خوفي، وحصن من العزلة.

وهكذا، ظلت "مدينة القاهرة التي لا تنام" رفيقتي الدائمة، استعارةً حيةً لحالتي الداخلية، مرآةً تعكس روحي القلقة والمعذبة. لم يكن قلة نومي مجرد عرضٍ للتوتر أو عادةٍ سيئة؛ بل كان نتيجةً مباشرة للعيش مع الأصداء، تذكيرًا مستمرًا ومؤلمًا بالقضايا التي لم تُعالج والتي أزعجتني، تجسيدًا ملموسًا لروحي التي لم تُشفَ، ألمٌ مزمنٌ لا يهدأ، حمى لا تندمل، جرحٌ لم يُشفَ تمامًا. ومن المفارقات، أنه خلال ليالي الأرق هذه، عندما كان العالم الخارجي هادئًا، وعندما تتلاشى المشتتات، كنت أجد غالبًا لحظاتٍ من الصفاء العميق، ومضاتٍ من البصيرة التي قادتني إلى أفضل الأفكار لـ PenX. أصبح صمت الليل، الذي لا يقطعه سوى همهمة المدينة البعيدة، أرضًا خصبةً للابتكار، مساحةً يستطيع فيها عقلي، رغم عذابه، أن يُبدع. لكن هذه الأفكار جاءت بتكلفة، ضريبة مُستخرجة من عقلي وروحي المنهكين بالفعل، مما جعلني أكثر استنزافًا، وأكثر ضعفًا، وأكثر وعيًا بثمن إبداعي. وُلدت التألق من نفس العذاب الذي أبقاني مستيقظًا، تبادل حلو ومر، صفقة فاوستية للحظات من البصيرة. هذه الرحلة، هذا الكتاب، هي محاولتي لمواجهة هذه الظلال أخيرًا، وفهمها، والتعبير عن الألم، وإعطاء صوت لما لا يُقال، والاعتراف بالثقل الذي أحمله، وقبول أنني لا أستطيع العيش في إنكار لتاريخي. عليّ أن أقبله، وأدمجه، وأجد طريقة للمضي قدمًا، ليس بمحو الماضي، ولكن بتعلم العيش مع أصدائه، على أمل نوع مختلف من السلام – سلام مصنوع من القبول والمرونة والسعي الدؤوب وراء الهدف. إنه بحث عن مستقبل حيث الأصداء، على الرغم من كونها حاضرة، لم تعد تحددني، حيث العبء، على الرغم من ثقله، لم يعد يسحقني، وحيث الليالي التي لا تنام، على الرغم من تكلفتها، تجلب أيضًا وضوحًا فريدًا، ونورًا هاديًا في الأفق البعيد، ووعدًا خافتًا بنوع مختلف من الفجر.

الفصل الرابع عشر: وعد المستقبل

أصداء الماضي – وخزة الندم الحادة اللاذعة، وألم النقص الممل والمستمر، وإحساس غياب روان بغيابي، وطنين صداعي النابض المستمر – باقية. لم تختفِ، ولا أتوقع أن تتلاشى تمامًا، أو أن تُمحى سحريًا بمرور الوقت أو السعي وراء مشاريع جديدة. لقد تعلمتُ، أو ما زلتُ في رحلة التعلم الشاقة، أن أتعايش معها، وأن أدمجها في نسيج كياني، كخيوط لا تُمحى منسوجة في نسيج هويتي. يستمر النضال من أجل التطبيع، وهو تفاوض داخلي هادئ لا هوادة فيه.في أي مستوى أستطيع التعايش مع هذه التذكيرات المستمرة وغير المرغوب فيها بتاريخي، دون أن تستهلكني. هذا القبول ليس استسلامًا لليأس؛ إنه فهمٌ اكتسبته بشق الأنفس أن إنكار ماضي، ومحاولة قمع أثره العميق، هو إنكارٌ لجزءٍ أساسي من ذاتي، عيشٌ في كذبة. لقد أصبحت الليالي التي لا تنام، على الرغم من كونها ثمنًا باهظًا مُستخرجًا من جوهر نفسي، بوتقةً للوضوح، مساحةً قاسيةً لا تلين حيث يتقارب همهمة المدينة البعيدة وعذابي الداخلي الذي لا يلين في لحظاتٍ من البصيرة الإبداعية المكثفة، شبه الرؤيوية. هذا هو الأساس الذي لا تشوبه شائبة، ولكنه ذو ندوبٍ عميقة، الذي أقف عليه الآن، أساسٌ ليس كاملًا، وليس خاليًا من الشقوق، ولكنه بلا شك...مِلكِي، تم بناؤها من أنقاض تجاربي.

لذا، فالمستقبل لا يعني محو الأصداء، ولا بلوغ حالة من النسيان السعيد حيث ينعدم الماضي. بل هو بناء شيء ذي معنى عميق، وهادف بطبيعته، بحيث يمكن لوعده أن يطغى على وجودهم الدائم، محولاً إياهم من معذبين إلى مراقبين صامتين. PenX هو هذا الوعد. إنه التجسيد الملموس لسعيي الدؤوب نحو الهدف، وفعل متحدي ضد الفوضى والألم وخيانة ماضي. إنه أكثر من مجرد شركة، أكثر من مجرد كيان تجاري؛ إنه تجسيد لمعركتي، و...سبب الوجود، التركيز الوحيد الذي يدفعني إلى الأمام الذئب الجريح الوحيد، كما أستمر في رؤية نفسي، مخلوقًا من المرونة والضرورة، يجب أن يصطاد ليعيش ويبقى ويزدهر. وPenX هو مطاردتي، سعيي الدؤوب والمستهلك لرؤية ولدت مباشرة من بوتقة معاناتي، مزورة في نيران الندم ومُخففة بفولاذ التصميم البارد. أنا أبنيها لبنة لبنة مضنية، أسكب كل ذرة من طاقتي وعقلي وروحي في إنشائها، مدفوعًا بإيمان راسخ بأنها لن تُصلح حياتي فحسب، وتصلح روحي المكسورة، بل ستوفر أيضًا طريقًا أفضل، مسارًا أكثر أخلاقية وتعاطفًا، للآخرين الذين قد يجدون أنفسهم تائهين في متاهات مماثلة على مستوى الشركات أو الشخصية.

إن وعد PenX متعدد الأوجه، إذ يجمع بين الطموح المهني والشفاء الشخصي العميق. على الصعيد المهني، يُمثل فرصة لبناء إرث دائم، شركة قائمة على نزاهة راسخة وتواصل إنساني أصيل، ترياق مباشر وقوي لثقافة Forcivate السامة واللا إنسانية التي كادت أن تُحطمني. إنه مكان تسود فيه الشفافية، ويُعد التعاطف جوهريًا في كل قرار، ويُقدّر فيه الأفراد لمساهماتهم الفريدة، لا لاستغلالهم في إنتاجهم أو إهمالهم عند الحاجة. إنه جهد واعٍ، يكاد يكون هوسًا، لخلق البيئة التي تمنيتُ بشدة أن أعيشها، مكان تزدهر فيه الثقة حقًا،

ويكون فيه التعاون أصيلًا، وتُعطى فيه الأولوية لرفاهية الإنسان. كل قرار استراتيجي، وكل خيار تصميمي، وكل سطر برمجي مُصمم بدقة، مُشبع بهذه الفلسفة، وهو عهد صامت لا يتزعزع بإعطاء الأولوية للازدهار البشري على الربح الجامح قصير النظر. لم تكن المصادقة المبكرة من هاكاثون ALX، وأكثر من مئة مؤمن على لينكدإن، مجرد انتصارات صغيرة يمكن تجاهلها؛ بل كانت تأكيدات حاسمة، ومضات قوية من نور خارجي عززت قناعتي الداخلية، وأثبتت أن لهذه الرؤية صدى يتجاوز عقلي المعذب، وأن لها مكانًا في العالم. إنها علامات ملموسة على أن الأساس الذي أبني عليه، رغم تهاويه المجازي وآثار هزات الماضي، قادر بالفعل على دعم شيء حقيقي ومؤثر ودائم، شهادة على قوة الهدف المشترك.

شخصيًا، يُعدّ PenX طريقي نحو نوع مختلف وأكثر عمقًا من السلام. إنه ليس سلام الجهل الهنيء، أو العودة الساذجة إلى حالة من التحرر من الألم، أو هدوء عقلٍ خالٍ تمامًا من أعباء الماضي. بل هو السلام الذي نجده في العزيمة الدؤوبة، في فعل الإبداع، في السعي الدؤوب وراء رؤية تتجاوز ألمي، وتحوّله إلى وقود للنمو. إنه سلام معرفة أنه على الرغم من صراعاتي الداخلية المستمرة، ورغم همهمات الندم والنقص التي لا تزال تتردد في داخلي، فإنني أعمل بنشاط نحو شيء جيد، شيء بنّاء، شيء قد يُعيد التوازن في نهاية المطاف إلى موازين "ديني غير المسدد"، وهو شكل من أشكال التكفير بالعمل. ليالي الأرق، رغم أنها مُرهقة جسديًا وعقليًا، أصبحت الآن أيضًا مثمرة بشكل متناقض، مساحة مقدسة حيث تتجمع الأفكار، المولودة من نفس العذاب الذي يُبقيني مستيقظًا، في خطط عملية لـ PenX، مُحوّلةً المعاناة إلى ابتكار. هذا هو التبادل المرير والحلو، والمفارقة العميقة في وجودي: تكلفة ماضي تغذي الإبداع اللامحدود لمستقبلي، وتحول الجروح إلى حكمة.

لذا، فإن وعد المستقبل ليس وجهة ثابتة، أو نقطة وصول نهائية تتوقف عندها كل الصراعات. بل هو رحلة مستمرة ومتطورة، ومسار طويل وشاق نحو نوع مختلف من الفجر، وأفق لا يزال بعيدًا ولكنه حاضر لا يمكن إنكاره، يلوح لي للأمام. لا يمكنني أن أعيش في إنكار لتاريخي؛ يجب أن أقبله بالكامل، وأدمجه في من أنا، وأجد طريقة للمضي قدمًا، ليس عن طريق محو الماضي، ولكن عن طريق تعلم العيش مع أصدائه، والاعتراف بوجودهم دون السماح لهم بالسيطرة علي. هذا الكتاب، هذا الفعل من التأمل الذاتي، هو جزء لا يتجزأ من تلك الرحلة، ومحاولة للتعبير عن الألم، وإعطاء صوت لما لا يُقال، والاعتراف بالثقل الهائل الذي أحمله، وإيجاد معنى في الصراع. الوعد هو أن الأصداء، على الرغم من وجودها، لن تحددني بعد الآن، ولن تملي قيمتي أو مساري بعد الآن؛ العبء، على الرغم من ثقله، لن يسحقني بعد الآن، ولن يشل إرادتي بعد الآن؛ وستظل الليالي التي لا تنام، وإن كانت مكلفة، تُضفي وضوحًا فريدًا، ونورًا هاديًا نحو مستقبلٍ يتعايش فيه الهدف والسلام، حتى وإن كانا ناقصين وبشق الأنفس. إنها شهادة على قدرة الروح الإنسانية الدائمة اللامحدودة على الصمود، وعلى إعادة البناء من الرماد، وعلى إيجاد معنى عميق حتى عندما يبدو كل شيء ضائعًا لا رجعة فيه. الوعد ليس شفاءً

مفاجئًا أو معجزة، بل هو صعود تدريجي ومدروس، خطوةً تلو الأخرى، نحو مستقبلٍ يتعلم فيه الذئب، وإن كان مصابًا بجراح عميقة، ليس فقط البقاء على قيد الحياة، بل الازدهار الحقيقي، حاملًا ندوبه كأوسمة شرف، لا رموزًا للهزيمة.

ملاحظة ختامية: من الأصداء إلى الجمر

مع انقضاء الصفحة الأخيرة من هذه الرحلة، ما تبقى ليس مجرد قصة خيانة أو انهيار، بل شهادة حية على الصمود المدفون تحت الأنقاض. لقد أخذتك هذه الصفحات عبر أزقة القاهرة التي لا تنام، وعبر أعمدة الشباب والحب والعمل المتصدعة، إلى صمت الديون العاطفية المزعج. لكنها كشفت أيضًا عن شيء أقوى بكثير: رفض الروح الاستسلام.

هذا الكتاب ليس رثاءً، بل ولادة جديدة. إنه عواء ذئب جريح لا يزال يصطاد، ليس فقط للبقاء، بل للازدهار، بندوبه وكل شيء. إنه دليل على أنه حتى لو بقيت الأصداء، فإنها لا تُعرّفنا بالضرورة. لا يزال بإمكاننا اختيار النهوض. الإبداع. إعادة البناء – حجرًا حجرًا – على أسس متصدعة بقلوب ترفض الاستسلام.

إذا شعرتَ بأنكَ مُرَئي في هذه الفصول – ولو بجملةٍ واحدةٍ عكست ألمكَ، أو صمتكَ، أو صمودكَ – فاعلم هذا: لستَ وحدكَ. قد لا نُعيد كتابة ماضينا، لكن بوسعنا دائمًا إعادة تصوّر مُستقبلنا.

لم يكن هذا مجرد كتاب، بل كان محاسبة. ولا ينتهي بنقطة، بل بنبضٍ ثابت، متحدي، وحافل بالهدف.

إلى الفصل التالي.

حسين

. Hussein .